

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية

مسرحة شكسبير



تشارد الثالث

ترجمة
الدكتور عبد القادر القط



دار المعارف



Bibliotheca Alexandrina



0145221

مقدمة

يمكن أن تعد مسرحية رتشارد الثالث من الناحية التاريخية تنمة للأجزاء الثلاثة من مسرحية هنرى السادس ، فهي تبدأ من حيث ينتهى الجزء الثالث لتلك المسرحية ، وتصور ختام الصراع الطويل بين أسرتى لانكستر ويورك الذى بدأ فى عهد هنرى السادس وانتهى بمقتل رتشارد الثالث واستيلاء هنرى السابع من أسرة لانكستر على الحكم . وقد تزوج هذا الملك إليزابث سائلة أسرة يورك . فوضع حدا للصراع بين الأسرتين وجمعهما فى سلالة واحدة .

وقد قام رتشارد فى مسرحية هنرى السادس بدور كبير يبنى بما كان فى نفسه من طموح وما جبل عليه من شر . وفى مسرحيتنا هذه نرى كيف رسم خطته الجريئة لكى يحقق طموحه ويصعد إلى العرش . ونرى كيف نفذ تلك الخطة فى إصرار ووحشية حتى انتهى إلى ما يريد .

ومن المرجح أن المسرحية قد كتبت بعد ثلاثية هنرى السادس مباشرة وإن لم يعرف تاريخ كتابتها على وجه التحقيق . على أن مؤرخى أدب شيكسبير يكادون يتفقون على أنها قد ألفت بين عام ١٥٩٣ و ١٥٩٥ . وهناك شك فى نسبة المسرحية إلى شيكسبير . ويرى بعض الباحثين أن دور شيكسبير فيها قد اقتصر على المراجعة والتنسيق وأنها من وضع المؤلفين الذين كتبوا ثلاثية هنرى السادس ، بينما يرى آخرون أنها من تأليف مارلو

وقد تركها ناقصة فأتمها شيكسبير . ومع ذلك فإن هذه الشكوك لا ترقى إلى درجة الدليل الحاسم الذى يثبت أن شيكسبير لم يكتب هذه المسرحية بنفسه . ويرى الباحثون أنه إذا صح أن شيكسبير قد قام بدور المراجع لها فحسب فإن مراجعته كانت أكبر من مجرد المراجعة العادية ، ففى أسلوبها وبنائها المسرحى ما يوحى بفن شيكسبير فى مرحلته المبكرة .

والمرحىة تعرض مأساة رتشارد بطريفة تحافظ على التقاليد المسرحية القديمة ، ففيها ذلك المصير القاسى الذى تساق إليها معظم الشخصيات ، وفيها من سلطان الظروف والأقدار ما يتحكم فى سلوك تلك الشخصيات . وإذا كنا نتعاطف مع شخصيات شيكسبير فيما يصيبها من مأس فى مسرحياته الأخرى ، فإننا لا نحس بأى عطف نحو رتشارد الثالث فى هذه المسرحية . ذلك بأن المؤلف قد صوره نموذجاً كاملاً للشر نتبع مصيره وكأنه نتيجة حتمية لسلوكه وطبيعة شخصيته . فهو شخصية غير إنسانية تنساق فى طريق الشر بأسلوب آلى ليس فيه ما فى الساوك الإنسانى من تطور وتعقد . وهناك مثلاً فرق واضح بينه وبين ياجو فى مسرحية عطيل . فرغم ما فى شخصية ياجو وسلوكه من شذوذ ، فإننا لا نملك إلا أن نتقبله ونتفجع به لما نلمس فى نفسه من البواعث المعقدة — والعواطف الإنسانية المتضاربة . فى نفسه من الضعف والعقدة والشر والخير والتردد والإقدام ما فى النفس الإنسانية ، وهو لا يمضى فى خطته إلا بعد صراع طويل بين كل تلك العناصر النفسية المعقدة .

ومن هنا نستطيع رغم شره أن نأسى له ونتعاطف معه في مصيره المحتوم ، أما رتشارد فإننا نراه وقد رسم في مناجاته لنفسه في مطلع المسرحية طريقا لم يجد عنه طوال المسرحية رغم ما اقترفه من آثام بشعة ، كانت جديرة بأن تثير في نفس أى إنسان كثيرا من المشاعر المتضاربة وتدفعه إلى كثير من التردد والتفكير ، قبل الإقدام على اقترافها . وهو من هذه الناحية يوشك أن يكون مجرد نموذج فى للشر وتجسيدا لفكرة الإثم .

لهذا طغت شخصيته على سائر شخصيات المسرحية بما لديها من عواطف إنسانية لأن تلك الشخصيات لم تكن تستمد وجودها إلا بمقدار صلتها به .

ومع ذلك ففي المسرحية كثير من المواقف المؤثرة يرتقى فيها الأسلوب إلى مستوى شعري عال ، يستمد براعته من براعة رتشارد في الحديث وقدرته على التأثير ، تلك القدرة التي اتخذ منها سلاحه الأول لتنفيذ طموحه وشره . ولكن هذه البراعة في الحديث لم تستطع رغم ذلك أن تضيف على رتشارد شيئا من الطابع الإنساني لأنها لم تكن إلا مجرد وسيلة إلى مآربه الآثمة . . .

عبد القادر القط

أشخاص المسرحية

Edward IV

الملك إدورد الرابع

ابنا الملك

{ إدورد أمير ويلز (الملك إدورد الخامس فيما بعد)
Edward Prince of Wales
ريتشارد دوق يورك Richard Duke of York

أخو الملك

{ جورج دوق كلارنس George Duke of Clarence
ريتشارد دوق جلوستر (الملك ريتشارد الثالث فيما بعد)
Richard Duke of Gloucester

ولد صغير لدوق كلارنس

هنري إيرل ريتشموند (الملك هنري السابع فيما بعد)

Henry Earl of Richmond

Cardinal Bouchier

كاردينال بورشيه (رئيس أساقفة كنتربري)

Thomas Rotherham

توماس روتر هام (رئيس أساقفة يورك)

John Morton of Ely

جون مورتون (أسقف إيلي)

Duke Buckingham

دوق بكنجهام

Duke Norfolk

دوق نورفوك

Earl Surry

إيرل سري (ابن دوق نورفوك)

Earl Rivers

إيرل ريفرز (أخو المالكة إليزابيث)

(ابنا الزابث)	{ Marquess of Dorset الماركيز دورست Lord Grey اللورد جراى
Earl Oxford	ايرل أكسفورد
Lord Hastings	اللورد هيستنجز
Lord Stanley (Earl Derby	اللورد ستانلى (ويدعى أيضا ايرل دربى)
Lovel	اللورد لوفل
Thomas Vaughan	سير توماس فوجان
Richard Ratcliff	سير رتشارد راتكليف
William Catesby	سير وليام كاتسبى
James Tyrrel	سير جيمس تيرل
James Blount	سير جيمس بلونت
Walter Herbert	سير وولتر هربرت
Robert Brakenbury	سير روبرت براكنبرى (رئيس شرطة البرج)
Christopler Urswick	كرويستوفر ايرزوك (قس)
	قس آخر
Tressel and Berkeley	تريسيل وبيركلى (سيدان من أتباع ليدى آن)
(Wiltshire)	عمدة لندن ، حاكم ويلتشير .
Elizabeth	الزابث (الملكة ، زوج إدورد الرابع)
Margaret	مرجريت (أرملة هنرى السادس)

دوقة يورك (أم هنرى الرابع)
 Duchess of York
 ليدى آن (أرملة إدورد أمير ويلز وابن هنرى السادس وقد تزوجت من
 بعد رتشارد الثالث)
 Lady Anne
 ابنة صغيرة لكلاrens (مرجريت بلانتاجنت)
 Plantagenet
 أشباح من قتلهم رتشارد الثالث .
 لوردات وغيرهم من الأتباع — ضابط ومسجل — مواطنون — قتلة — رسل
 وجنود وغيرهم .
 المكان — إنجلتر

الفصل الأول

المنظر الأول

شارع بلندن

(يدخل رتشارد دوق جلوستر)

دوق جلوستر : الآن (١) قد أحالت شمسُ يورك (٢)

شتاء أحزاننا إلى صيف رائع .

وثوى في صدر المحيط العميق

كل ما جثم على بيتنا من سحب .

الآن يكمل غار النصر جباهنا .

ونعلق أسلحتنا المثلومة على الجدران ، للزينة وللذكرى ،

لقد استحال هجماتنا الصارمة المباغثة إلى اجتماعات

مرحة

وزحفنا المروع ، إلى رقص ممتع ،

(١) أى توكسبرى بعد وقعة (Tewksbury)

(٢) ورد هذا اللفظ Sonne, Son والرأى عند أغلب الشراح أن شيكسبير فيما يرجع يتلاعب باللفظ ولكنه كان يشير بلا شك إلى شعار بيت يورك وهو « الشمس في جلالها » وهو الشعار الذى اتخذه رتشارد الثانى إحياء لذكر الشموس الثلاث التى يقال إنها ظهرت فى وقعة « مورتيمور كروس » التى انتصر فيها على بيت لانكستر .

وَبَسَّطَ إِلَهَ الْحَرْبِ الْعَبُوسِ جَبِينَهُ الْمَقْطَبَ ،
 وَبَعْدَ أَنْ كَانَ يَمْتَطِي صَهْوَةَ الْحَيَادِ الْمُدْرَعَةَ
 لِيَلْقَى الرَّعْبَ فِي نَفُوسِ الْأَعْدَاءِ الْهُلُوعِينَ
 غَدَا يَثْبُخُ خَفِيفًا فِي غُرْفَةِ مَحْبُوبَتِهِ ،
 عَلَى أَنْغَامِ الْعُودِ الْمَمْتَعَةِ الْمَثِيرَةِ ،
 أَمَّا أَنَا ، الَّذِي لَمْ أَسُوْ فِي خَلْقِهِ تَبِيحًا لِي أَنْ أُمَارِسَ
 أَفَانِينَ الْحُبِّ ،

وَلَمْ أَنْخُلِقْ لِأَمْتَعِ النَّظَرِ بِصُورَتِي عَلَى مِرَاةٍ حَبِيبَةٍ .
 أَنَا الَّذِي خُلِقْتُ عَلَى عَجَلٍ ، وَلَمْ يَوْتِ مِنْ جَمَالِ الْمُحِبِّينَ ،
 مَا يَخْطُرُ بِهِ أَمَامَ حُسْنَاءٍ مُخْتَالَةٍ لِعُوبٍ ،
 أَنَا الَّذِي حُرِّمَ اتِّسَاقُ الْقَسَمَاتِ
 وَزِيْفَتِ الطَّبِيعَةُ الْخَادِعَةُ بَنِيَّتَهُ ،

أَنَا الْمَشْهُوهِ الْمَنْقُوصِ ، الَّذِي أُرْسِلُ قَبْلَ الْأَوَانِ
 إِلَى هَذَا الْعَالَمِ النَّابِضِ بِالْحَيَاةِ وَلَمَّا يَكْدُ يَتِمُّ خَلْقُهُ ،
 أَنَا الَّذِي تَنْبَحُهِ الْكِلَابُ إِذَا وَقَفَ عَلَيْهَا ،
 لَمَّا تَرَاهُ مِنْ بَالِغٍ عَجْزِهِ ، وَغَرَابَةِ هَيْئَتِهِ ،
 أَمَّا أَنَا فَلَا أَجِدُ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَقْتُ السَّلَامِ ،
 الَّذِي تَخَفْتُ فِيهِ الْأَصْوَاتِ وَتَرَقَّى ، شَيْئًا مِنَ الْمَتْعَةِ
 أَتَسْلَى بِهِ ؛

إلا أن أخالس النظر إلى ظلى في ضوء الشمس ؛
وأتغنى بخلقى الشائبة .

فلأكن إذن شريرا !

ما دمتُ لا أصلح للحب ،

ولا للاستمتاع بهذه الأيام الجميلة الزاهرة ؛
ولأمنح تلك الأيام ومتعها اللذيذة بُغضى وحقدى ؛

لقد رسمت خططى وشرعت فى مقدماتها الخطيرة ،
لأقيم بالنبوءات الفارغة والتشهير ، والأحلام ،

بغضاء مهلكة بين الملك وبين أخى كلارنس .

ولئن صح أن الملك إدورد يبلغ من الصدق والعدل
ما أبلغه أنا من الدهاء والزيف والخديعة ،

فليسجن كلارنس اليوم ولتضيق عليه المحابس من
أجل تلك النبوءة

التي تزعم : أن ورثة إدورد سيقتلون بيد رجل اسمه
الأول بحرف الجيم .

ألا فلترسب أيتها الأفكار إلى قرارة نفسى ،

فها هو ذا كلارنس قد أقبل .

(يدخل كلارنس يحيط به حرس ومعه براكنبرى)

عم صباحاً يا أخى — ما شأن هؤلاء الحراس المسلحين
من حولك ؟

كلارنس : لقد شاء جلاله الملك ، حرصا منه على سلامتي .

٤٥

أن يعين هذا الحرس ليحمنني إلى البرج .

دوق جلوستر : ولم ؟

لأن اسمي جورج !

كلارنس :

دوق جلوستر : واأسفاه يا سيدي إذ تؤخذ بجريرة لا يدلك فيها .

لقد كان ينبغي له أن يعاقب على ذلك معمدك الذي
عمدك ،

أو ترى قد عزم الملك

على أن يعمدك في البرج ويسميك من جديد ؟
ولكن ما سر هذا الأمر يا كلارنس ؟ هلا أخبرتنى ؟

٥٠

كلارنس : سأخبرك يا رتشارد حين أعرفه ،

فإني لأؤكد أن ليس لي به حتى الآن علم .
ولكن يخيل إلي أن الملك يستجيب للنبوءات والأحلام ،

٥٥

وقد انتقى من بين حروف الهجاء حرف الجيم

وقال إن ساحرة أنبأته أن « جيم »

سيغتصب العرش من أبنائه .

ولما كان اسمي هو جورج يبدأ بحرف الجيم

فقد ظن أنني هو ،

وتلك النبوءات ، وأمثالها من العبث ،

٦٠

هى التى دعت جلالته فيما بلغنى - إلى أن يأتى بى
فى السجن .

دوق رطلستر : عجباً ، إن ذلك لا يكون إلا حين يخضع الرجال
لحكم النساء .

إن من يرسلك الآن إلى البرج ليس هو الملك ،
بل إن زوجه ليدى جراى ، يا كلارنس ،
هى التى تثيره عليك إلى هذا الحد .

٦٥

ألم تكن هى وأخوها ، ذلك الرجل الطيب النبيل
أنتونى ودفيل ، هما اللذين دفعاه إلى أن يرسل
باللورد هيبستنجز إلى البرج ،
فلم يخرج منه إلا اليوم ؟

أى كلارنس ، لسنا بمأمن ! لسنا بمأمن !

٧٠

كلارنس : تالله ما من أحد بمنجاة من الخطر ،

إلا أقارب الملكة ورسل الليل ،

الذين يذرعون الطريق بين الملك وخليته « شور » .

ألم تسمع إلى أى أحد

تضرع إليها لورد هيبستنجز حتى يطلق سراحه ؟

٧٥

دوق رطلستر : لقد شكوا مولاي اللورد كبير الأمناء إلى « جلالته »

فى ذلة وخضوع فظفر بحريته ؛

ماذا أقول ، يخيل إلى أن خير سبيل نساكها
لكى نحظى بعطف الملك ،
أن نكون من رجالها ، وأن نرتدى لباس أتباعها ،
فإن الأرملة^(١) التى أبلتها السنون وفطرت على الشك
والوساوس
قد أصبحت لها هى والخليلة ، السلطان النافذ فى الدولة .
بعد أن رفعهما أخونا الملك إلى مرتبة النبيلات .

٨٠

مراكبرى

: معذرة أيها السيدان ،

٨٥

فإن الملك قد أصدر أمرا قاطعا
ألا يخاو إلى أخيه أحد مهما يكن شأنه .

جلوستر

: ولا يهمنا هذا ، فإنك أى مراكبرى

تستطيع ، إذا أردت ، أن تشارك فى كل ما نقول ،
فليس فى حديثنا خيانة أيها الرجل . وإنما نحن
نقول إن الملك

٩٠

حكيم فاضل ، وملكته النبيلة
على كبر سنهما — جميلة لا تشعر بشيء من الغيرة .
ونقول إن امرأة « شور » ذات قدم بديعة ،
وشفة كالكرز ، وعين جميلة ، ولسان جدعمتع ،

(١) يعنى الملكة وكانت أرملة قبل أن تزوج .

وإن أقارب الملكة يُرفعون إلى مرتبة النبلاء .
فما قولك أنت يا سيدى ؟ أتستطيع أن تنكر شيئاً
من هذا ؟

٩٥

براكنبرى : ليس لى شأن بهذا يا سيدى اللورد .
دوق جلوستر : ليس لك شأن بالسيدة شور ! ألا فتعلم أيها الرجل
لأنه لخير لمن له شأن بها

أن يفعل هذا وحده فى الخفاء ؛ اللهم إلا شخصاً واحداً .

١٠٠ براكنبرى : ومن يكون هذا الشخص يا سيدى اللورد ؟

دوق جلوستر : زوجها يا خبيث ! أو تفضح أمرى وتشى بى ؟

براكنبرى : معذرة يا سيدى إذا سألتك

أن تكف عن الحديث مع الدوق النبيل .

كلارنس : نحن نعرف ما أمرت به — أى براكنبرى — وسنطيع
ذلك الأمر .

١٠٥ دوق جلوستر : نحن أشد رعايا الملكة خضوعاً واستكانة وقد ،
حققت علينا الطاعة .

إلى اللقاء يا أخى — إننى ذاهب إلى الملك ؛

وسأفعل كل ما تشاء ، حتى أرد إليك حريتك ،

حتى ولو اضطررت أن أنادى أرملة إدورد بيا أختى^(١)

(١) أخته بزواجها من أخيه الملك كما يقضى العرف الإنجليزى .

غير أن هذا العقوق^(٢) الشديد لحق الإخوة
يحزّ في نفسى أشد مما تستطيع أن تتخيل .

١١٠

كلارنس : إني لأعلم أن ذلك لا يرضيك ولا يرضيني .

دوق جلوستر : إن سجنك لن يطول على أية حال ،

وسأخاطبك أو ألقى في السجن دونك ؛

أما الآن فيجب أن تتذرع بالصبر ؛

١١٥ كلارنس : لا حيلة لي في ذلك ، إلى اللقاء

(يخرج كلارنس وبراكنهري والحرس)

دوق جلوستر : اذهب ، واسلك ذلك الطريق الذى لارجعة لك منه ،

أى كلارنس ، أيها الساذج الأمين . إن لك في

نفسى من الحب ،

ما يحملنى على أن أبعث بروحك قريباً إلى السماء ؛

لو رضيت السماء بأن تقبل ما بين أيدينا من قربان !

١٢٠

واكن من المقبل علينا ؟ أهو هيستنجز الذى أطاق

سراحه اليوم ؟

(يدخل لود هيستنجز)

هيستنجز : طاب وقتك يا سيدى اللورد الكريم !

دوق جلوستر : وطاب وقت سيدى الكريم كبير أمناء القصر

مرحبا بك في هذا الجو الطلق

١٢٥ كيف كان احتمال سيدى اللورد للسجن ؟
هستنجز : احتملته بصبر ياسيدى النبيل كما ينبغي لكل سجين .

ولكنى سأعيش يا سيدى

لأرد الحميل إلى من كانوا السبب في سجنى .

دوق جلوستر : يلا ريب ، بلا ريب ! وكذلك سيفعل كلارنس ؟

١٣٠ فإن أعداءك بالأمس هم اليوم أعداؤه ؛

وقد ظفروا به كما ظفروا بك .

هستنجز : لشد ما آسف أن يجبس النسر

وتترك الحداث وضعاف الصقور ، لتقتنص كيف

تشاء .

دوق جلوستر : أئمة أنباء من الخارج ؟

هستنجز : إن الأنباء من الخارج لا تبلغ في سوءها مبلغ الأنباء

من الداخل .

١٣٥

فالملك مريض واهن القوى قد علتة الكآبة

والهموم ،

وأطبائوه يخشون على حياته خشية شديدة .

دوق جلوستر : بحق « بولس » القديس إنها لأنباء سيئة !

لقد اتبع نظاما صارما في الطعام زمنا طويلا ،

١٤٠

حتى هزل جسده جلالة هزالا شديدا ؛
 إنه لأمر يبعث التفكير فيه على الحزن الشديد .
 أين هو ، هل يلزم الفراش ؟

هستنجز : أجل

دوق جلوتر : اسبقني إذن وسألتق بك .

(يخرج هستنجز)

١٤٥

إنه فيما أرجو لا يمكن أن يعيش ، ويجب ألا يوت
 قبل أن يُرسل جوريج إلى السماء على عجل .
 فلأدخل الآن لأزيد به بغضا لكларنس ،
 بأكاذيب مدعمة أحسن تدعيم بالحجج القوية .
 وإذا لم أفشل في خطتي الماكرة ،

١٥٠

فلن يعيش كларنس بعد اليوم ؛
 وليتغمده الله الملك إدورد ، من بعد ، برحمته ؛
 وليترك لي الدنيا لأمرح فيها .

١٥٥

وأتزوج حيثئذ صغرى بنات « وريك »
 ولا على إن كنت قتلت زوجها وحماها ؛
 فإن أسرع وسيلة لاسترضائها
 أن أصبح لها زوجا وأبا .
 وإلى لقاء هذا ؛ لا بدافع الحب وحده ،

بل أفعله لغاية خفية أخرى ،
 لا بد من أن أبلغها بذلك الزواج .
 على أن موقفي ، إلى الآن ، كموقف عربي تريد أن
 تسبق الحصان إلى السوق ؛
 فما زال كلارنس على قيد الحياة . وما زال إدورد
 يعيش ويحكم .
 ولا يجدر بي أن أحصى أرباحي إلا بعد رحيلهما .
 (يخرج)

الفصل الأول

المنظر الثاني

المنظر نفسه — شارع آخر

(يدخل جثمان الملك هنرى السادس فى حراسة حملة الرماح ،
وليدى آن فى ثياب الحداد يحف بها ترسل وبوكلى) .

آن

: ضعوه ! ضعوا حملكم النبيل .

إن كان للنبل أن يحتويه كفن .

ودعوني لحظة أنح عليه . وأرثى سقوط

سليل لانكستر المجيد ، قبل الأوان .

أيتها الجثة الهامدة الباردة للملك قديس !

أيها الرماد الكأبى من بيت لانكستر .

أيتها البقية من الدم الملكى مالك غاب عنك دم

الحياة !

أيحق لى أن أدعو روحك ،

لتسمع نواح آن المسكينة ،

زوج ولدك إدورد ، ولدك القليل . .

١٠

الطعين باليد نفسها التى أصابتك بهذه الجروح !

انظر ! إني لأصعب في تلك المنافذ التي انطلقت منها
حياتك

بلسما من عيوني المجهدة لا غناء فيه .

ألا فلتحل اللعنة على تلك اليد التي صنعت تلك
الثقوب !

ولتحل اللعنة على القلب الذي وافته القسوة على فعل
هذه الفعلة !

١٥

ولتحل اللعنة على دم ذاك الذي أراق منها دمك .
وليكن مصير ذلك الشقي البغيض الذي أشقانا بموتك
أفطع من المصير الذي أتمناه للذئاب بل للعناكب أو
الضفادع

أو سواها من الزواحف السامة التي تدب على
الأرض .

وإن قدر له أن يوهب الولد، فليأت ولده سقطاشائها
يرى نور الحياة قبل الأوان ،

٢٠

ويروع منظره القبيح الغريب أمه
التي كانت تعقد عليه الآمال ،

ويرث ما كتب على أبيه من شقاء !
وإذا قدر له أن يتخذ زوجا

٢٥

فليكتب لها من الأحزان أكثر مما أصابني بموت
زوجي الشاب وموتك .

والآن فلتأخذوا حملكم المقدس ،
الذي أتيتم به من كنيسة القديس بولس
ولتيمموا شطر تشرتس لدفنه هناك .
على أن هذا الحمل قد أبهظكم فلتستريحوا ،
بينما أمضي في رثائي بلحمان الملك هنري .
(يدخل جلوستر)

٢٠

دوق جلوستر : انتظروا يا حملة الجثمان وأنزلوه إلى الأرض .
آن : أي ساحر شرير ذلك الذي أخرج هذا الشيطان ،
ليقف في طريق أعمالنا المقدسة الخيرة ؟
٢٥ دوق جلوستر : أيها الأوغاد أنزلوا الجثة ، وإلا فبحق بولس القديس
لأحيلن من يعصيني منكم إلى جثة !
حارس من حملة الرماح : سيدي اللورد تنح وأفسح الطريق للنعش .
دوق جلوستر : أيها الكلب الوقح قف حين أمرك ،
وارفع رمحك بعيدا عن صدري ،
أو بحق بولس القديس لأصرعنك تحت قدمي ،
وأطأ بها جسدك ، أيها المتسول ، لما أبديت من وقاحة ،
آن : ماذا ! أترعدون ؟ هل أصابكم الخوف جميعا ؟

٤٠

واأسفاه . ولكنى لا ألومكم فأنتم بشر ،
ولا تستطيع عيون البشر أن تحتمل النظر إلى
الشیطان .

٤٥

إليك عنا يا رسول الجحيم الخفيف ،
فليس لك سلطان إلا على جسده القانى ،
أما روحه فلن تستطيع أن تنالها ! فاذهب .
رحماك أيها القديسة الجميلة ولا تجعلى الغضب
يستبد بك .

دوق جلوستر

آن

: اذهب أيها الشيطان القذر بحق الله، ودعنا فى سلام .
فلقد خلقت من الأرض السعيدة جحيا
مليئا بصيحات اللعنة والصرخات المكشوفة ،
وإن طاب لك أن تنظر إلى أعمالك البشعة ،
فألق نظرة على ذلك المثال الناطق بمجازرك .
أيها السادة ، انظروا ! انظروا ،

٥٠

لقد فغرت الجراح من جثة هنرى أفواهما المتجمدة
وراحت تنزف دما من جديد !
ألا فلتخجل ، ولتخجل يا كتلة من الدنس شائنة ،
إن محضرك هو الذى ينفث هذا الدم ،
من عروق باردة جافة لا دم فيها .

٥٥

إن فعالك الجائرة العجيبة .

تثير هذا الطوفان البالغ العجب .

رباه يا صانع هذه الدماء انتقم لموته !

وأنت أيتها الأرض يا من تشربين هذه الدماء

انتقمى لموته ؛

ولتصرع السماء القاتل بصواعقها ،

أو فلتنشق الأرض في سعة وتبتلعه حيا ؟

كما تبتلع دم ذلك الملك الكريم

الذى صرعته تلك اليد الأثيمة ،

دوق جلوسر : سيدتى ، إنك لا تعرفين شيئا من شرائع الرحمة ،

التي تجزى بالشر خيرا ، وباللعنة بركة .

آن : أيها الشرير ، أنك لا تعرف شيئا من شرائع الله

أو الإنسان .

وما من وحش خلا قلبه من الرحمة ، مهما باغت

ضراوته .

دوق جلوسر : ولكن قلبي لا يعرف الرحمة مطلقا، فأنا إذن لست

حيوانا .

آن : ما أعجب أن تنطق الشياطين بالحق !

دوق جلوسر : وأعجب من ذلك أن يستبد الغضب بالملائكة .

فلتتعطف سيدتى ، يا من بدت بكمالها فى صورة
الملائكة ،

٧٥

وتأذن لى أن أبرئ نفسى ، بالحجج البينة ، من
تلك الآثام المزعومة .

آن

: تعطف أنت ، أيها المسيح ،

وأذن لى أن أسوق من الحجج البينة

ما أرمى به نفسك الرجيمة بالآثام المفضوحة .

دوق جلوستر

: يا من يعجز اللسان عن وصف جمالها ،

٨٠

هيبنى شيئاً من وقتك وصبرك لأبرئ نفسى .

آن

: يا من يعجز القلب عن إدراك دنسه

لن تستطيع أن تجد عذراً مقبولا إلا أن تشنق

نفسك .

دوق جلوستر

: ولكنى بمثل ذلك اليأس أدين نفسى .

آن

: وباليأس يلتمس لك العذر ،

٨٥

إذ تكون قد انتقممت من نفسك انتقاماً تستحقه ؛

لما جنيته من قتل من لا يستحق أن يقتل .

دوق جلوستر

: أو أقول إننى لم أقتلهما ؟

آن

: فلتقل إذن إنهما لم يُقتلا :

ولكنهما الآن قتيلان وبيدك أيها العبد الرجيم .

- ٩٠ : دوق جلوستر : ولكنى لم أقتل زوجك .
 آن : عجباً فهو حيّ إذن ،
 دوق جلوستر : كلا ، لقد مات واغتالته يد إدورد
 آن : إن فلك الدنس ينطق بالكذب . فلقد رأيت
 الملكة مرجريت
 سيفك الغادر يقطر من دمه ،
 سيفك الذى صوبته يوما إلى صدرها ،
 نولا أن نحاه عنها إختوتك .
 دوق جلوستر : لقد أثارنى لسانها البذى
 ذلك الذى ألقى جرمهم على كتفى البريثتين .
 آن : لقد أثارتك نفسك المولعة بسفك الدماء ،
 التى لم تفكر قط إلا فى المذابح ؛
 ألم تقتل هذا الملك ؟ أسام لك بهذا !
 تسلم لى أيها القنفذ ! إذن فليسلم لى الله أيضا
 بأن أستنزل اللعنة عليك جزاء فعلتك الخبيثة .
 واحسرتاه لقد كان دمثا وديعا فاضلا !
 ١٠٥ : دوق جلوستر : وهذا ما جعله أصلح لرب السموات الذى اختاره
 لى جواره .
 آن : إنه فى اللجنة التى لن تدخلها أبداً ،

- دوق جلوستر : فليشكرنى إذن ، فقد أعنته وأرسلته إلى هناك ،
لأنى رأيته أصلح للسماء منه للأرض .
- آن : أما أنت فلا تصلح إلا للعجيم .
- ١١٠ دوق جلوستر : بل أصلح لمكان آخر إذا أذنت لى أن أسميه ،
- آن : سجن مظلم ،
- دوق جلوستر : مخدعك .
- آن : إن الأرق ليحل فى الغرفة التى تنام أنت فيها .
- دوق جاوستر : أجل يا سيدتى حتى أنام معك .
- آن : أرجو ذلك .
- دوق جلوستر : أعلم ذلك^(١) . ولكن دعينا يا سيدتى الرقيقة ، آن ،
نترك التراشق الحاد بالقرائح .
- ١١٥ ونفىء إلى شىء من الجلد أهدأ وأرصن .
- أليس من كان سببا فى ذلك الموت المبكر
الذى حل بهنرى وإدورد ، سليلى بيت بلانتاجت
ملوما لوم من نفعه ؟
- ١٢٠ آن : إنك أنت السبب والمنفذ الرجيم معاً .
- دوق جلوستر : لقد كان جمالك سبب ما فعلت .

(١) تعنى آن بكلمة « تنام » نومه الأبدية أى موته فى حين يعنى جلوستر بقوله
« أنام » أضاجع — لذلك قالت أرجوذلك وقال هو : أعلم ذلك .

جمالك الذي طالما طاف بي في منامى ،
ودفعني إلى أن آخذ على عاتقي قتل الناس أجمعين ؛
لأستريح ساعة واحدة إلى صدرك الحنون .
: إذن فاعلم أيها القاتل أنه لو قد دار بخلدي ذلك
١٢٥ آن
لانتزعت جمال خدي بأظافري هذه .

دوق جلوتر : إن عيني لا تحتملان أن تنظرا إلى حطام الجمال
البديع ،

فلا ينبغي أن تشوّهه بمشهد مني .
فكما يفرح الناس جميعا بنور الشمس .
كذلك أفرح بجمالك . فهو شمسى وحياتي .
١٣٠ آن
: ألا فليغش الليلُ البهيمُ نهارك ، وليطمس الموت
حياتك .

دوق جلوتر : لا تستنزلي اللعنات على نفسك ، أيتها المخلوقة
الجميلة ، فأنت النهار والليل كلاهما .

آن : وددت لو كنتهما لأثار منك .
دوق جلوتر : إنها لخصومة عجيبة

١٣٥ آن
: أن تبتغي الثأر ممن يحبك .
آن : إنها لخصومة قوامها الحق والعقل ؛
أن أثار ممن قتل زوجي .

- دوق جلوتر : إن من سلبك زوجك ، يا سيدتى ، قد فعل ذلك
 ليهي لك زوجا أفضل .
- ١٤٠ آن : ليس بين الأحياء من هو أفضل منه .
- دوق جلوتر : بل إنه ليعيش هذا الذى يحبك أكثر منه .
- آن : سمه
- دوق جلوتر : بلانتاجنت
- آن : عجبا لقد كان بلانتاجنت
- دوق جلوتر : إنه ليعرف بهذا الاسم نفسه ؛ ولكنه من معدن
 أفضل .
- آن : وأين هو ؟
- دوق جلوتر : هنا .
- (تبصق عليه) .
- لماذا تبصقين على ؟
- آن : وددت ، من أجلك ، لو أن بصقتى كانت سما
- ١٤٥ قاتلا .
- دوق جلوتر : ما كان لهذا الموضع العذب أن ينفث السم أبداً ،
- آن : ما نُفث سم على ضفدع أقدر منك !
- أغرب عن وجهى فإنك تؤذى عيني .
- دوق جلوتر : أما عيناك ، يا سيدتى الحلوة ، فقد سحرتا عيني .

١٥٠ آن : وددت لو كانتا عيني أفعى تصرعانك بسحرهما .

دوق جلوستر : وددت لو كانتا كذلك لأموت ميتة سريعة ؛
فإنهما الآن تسلباني كل معنى للحياة .
لقد استنزفت عيناك هاتان من عيني دموعاً مرة ؛
وقرحت منهما الجفون بما سكبتا من قطرات غزيرة ،
كدموع الأطفال ،

١٥٥

عينيّ اللتين لم تسكبا من قبل دموع الندم قط ؛
حتى حين بكى أبي يورك وإدورد ،
إذ سمعا أنين « روثلاند » الأليم ،
بعد أن طعنه بالسيف « كليفورد » ذو الوجه العبوس .
ولا حين روى أبوك الباسل قصة مصرع أبي
الآلمية ،

١٦٠

وقطع حديثه أكثر من مرة ليبيكى وينتحب
كالأطفال ؛
حتى بللت دموع الحاضرين خدودهم كما يبلى المطر
الأشجار ؛

ففى ذلك الوقت الملىء بالحزن
لم ترق عيناي الأبيتان دمة واحدة
تفصح عن الذلة والمسكنة .

ولكن جمالك قد استطاع أن ينزل ما استعصى
على تلك الأحزان ، فغامت عيناي من كثرة البكاء .
ومع أنى لم أتوسل قط إلى عدو أو صديق ،
ولم يتعود لسانى أبدا أن ينطق بالحديث الحلوارقيق ،
فإن جمالك قد دفعنى إلى الكلام ،
وقلبى الأبى يحث لسانى ويتوسل إليه أن ينطق .
(تنظر إليه بازدراء)

لا تعلمى شفتيك هذا الازدراء ، يا سيدتى ،
فقد خالقنا للقبل لا لمثل هذا الاحتقار .
وإذا لم يستطع قلبك الحريص على الثأر أن يغفر ،
فهانذا أقدم إليك هذا السيف الصارم ،
لتغمديه ، إذا شئت ، فى صدرى المخلص ،
وتزهقى روحى التى تعبدك .

إنى أكشف عنه للضربة القاضية ،
وأضرع إليك بجائيا أن تقتلينى .

(يكشف عن صدره فتشهر سيفه نحوه)

لا ، لا تحجمى فإنى حقا قد قتلت الملك هنرى ؛
وإن كان يجمالك هو الذى دفعنى إلى ذلك .
فهلمى ، هلمى ، فأنا الذى طعنت إدورد الشاب

وإن كان وجهك النوراني هو الذى حفزنى .
 خذى السيف ثانية . . أو فخذينى زوجا .
 : انهض أيها المنافق فلن أكون أنا قاتلتك ،
 وإن تمنيت لك الموت .
 (تسقط السيف من يدها)

آن

١٨٥٠

دوق جلوستر : إذن مرينى أن أقتل نفسى فأفعل .
 آن : سبق أن أمرتك بهذا .
 دوق جلوستر : لقد كان ذلك فى سورة غضبك .
 ولكن قولها مرة أخرى ،
 وعندئذ تقتل هذه اليد فى سبيل حبك حبا أشد
 إخلاصا :

من ذلك الحب الذى صرعته من أجل حبك ،
 وستكونين السبب فى مصرعهما .

١٩٠

آن : وددت لو عرفت قلبك !
 دوق جلوستر : إن صورته على لسانى .
 آن : أخشى أن يكون كلاهما زائفا .
 ١٩٥٠ دوق جلوستر : إذن فلن يكون على ظهر الأرض لسان مخلص .
 آن : حسبك ، حسبك وضع سيفك فى غمده .
 دوق جلوستر : قولى إذن إن السلام قد عاد بيتنا .

آن

: ستعرف ذلك فيما بعد .

دوق جلوستر

: ولكن أيمكنني أن أحيا على رجاء ؟

٢٠٠ آن

: كل الرجال فيما أعتقد يحبون عليه .

دوق جلوستر

: تعطني والبسي هذا الخاتم .

آن

: إن الأخذ لا يعنى العطاء .

(تضع الخاتم في إصبعها)

دوق جلوستر

: انظري كيف يطوق هذا الخاتم إصبعك

كما يطبق صدرك على قلبي المسكين .

٢٠٥

خذيهما كليهما فكلاهما لك .

وإذا أذنت لعبدك الضارع المسكين

أن يسأل يدك الحانية صنيعاً واحداً ،

فستوثقين سعادته إلى الأبد .

آن

: وما هو ؟

٢١٠ دوق جلوستر

: أن تتفضلني فتتخلى عن مهمتك الأليمة .

لذلك الذى يستحق الحزن أكثر منك .

« وترجعي حالا إلى قصر » كروسي

حيث أوافيك بأسرع ما أستطيع لأراك ،

بعد أن أكون قد دفنت هذا الملك النبيل في دير

« تشرتسى »

(١١)

٢١٥

وبللت قبره بدموع الندم .
أضرع إليك أن تصنعى هذا المعروف
وإن لم تعرفى دواعيه الخفية الكثيرة .
: من كل قلبى ! وإنه ليسرنى كل السرور
أن أرى مبلغ ندمك .

آن

٢٢٠

فلتصحبانى أى تريسلى وبيركلى .
دوق جلوستر : قولى لى كلمة وداع .
آن : إنها لأكثر مما تستحق ؛
أما وأنت تعلمنى كيف أتملقك ،

(تخرج آن يتبعها تريسل وبيركلى)

فتخيل أنى قلت لك « إلى اللقاء » .

دوق جلوستر : احملوا الجثمان أيها السادة .

إلى « تشرتسى »

٢٢٥

رجل من حملة الرماح : إلى « تشرتسى » أيها اللورد النبيل ؟

دوق جلوستر : لا ، بل إلى هوايت فرايزر . وهناك انتظروا مقدمى

(يحملون الجثمان ويمضون)

هل رأى أحد امرأة قط خطب ودها رجل على هذا

النحو ؟

وهل رأى أحد قط امرأة ظفر بها رجل على هذا النحو ؟

٢٣٠

سأناها ، ولكننى لن أحتفظ بها طويلا .
ماذا ! أأخذها — أنا الذى قتل زوجها^(١) وأباه —
بكل ما فى قلبها من حقد دفين ،

وما على لسانها من لعنات وما فى عيونها من دموع ،
وكانها دماء تشهد على ما تحمل لى من بغضاء ؟
وهذه السدود — هى ، والله ، وضميرها — تقف

٢٣٥

بى وبينها ؛
وليس لى البتة من معين فى توددى إليها
إلا الشيطان الدميم ونظرات الرياء —
— أفوز بها رغم كل ذلك ! والظروف مجتمعة
تناهضنى ؛

— عجباً !

٢٤٠

— أتراها قد نسيت إدورد ، ذلك الأمير الشجاع ،
زوجها الذى طعنته فى سورة غضبى فى توكسبرى ،
منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر ؟

(١) الواقع أنه كان خطيبها ليس غير .

ذلك السيد المليح الحلو الشمائل ،
الذى لن تستطيع الدنيا على سعتها أن تجود بمثله .
لما أغدقت عليه الطبيعة من هباتها —

٢٤٥

شاب ، شجاع ، عاقل ، ذو صفات ملكية أصيلة
لا شك فيها .

أستطيع بعد ذلك أن تدنس عينيها بمرآى ،
أنا الذى هصر شباب هذا الأمير الجميل فى ريعانه ،
وجعلها أرملة لفراش كئيب مكلوم ؟

٢٥٠

تقع عينيها على أنا الذى لا يساوى بأجمعه نصف إدورد !
على أنا الأعرج المشوه بصورتي هذه !
ولكن يبدو أننى قد انتقصت من قدر نفسى طوال
هذا الوقت ؛

وهذا ما أراهن عليه بدوقيتين نظير فلس واحد .

ولا شك أنها ترانى رجلا وسيما حقاً ،

فإن لم أستطع أن أرى أنا ذلك ،

٢٥٥

فلأتحمل ثمن مرآة اشتريها ،

ولأستخدم عشرين أو أربعين حائكاً ،

ليصنعوا من الأزياء ما يزدان به جسمى .

وما دمت قد رضيت عن نفسى

فلأبذل قليلا ثمننا لهذا الرضا .
 ولكن لا بد لي أن أغيب هذا الرجل في قبره أولا .
 ثم أعود باكيا إلى حبيبتي .
 فلتشرق أيتها الشمس الجميلة حتى أشتري امرأة
 أرى فيها صورتي كلما سرتُ !

(يخرج)

الفصل الأول

المنظر الثالث

لندن . القصر

(تدخل الملكة إليزابيث واللورد ريفرز واللورد جراي)

- ريفرز : صبرا سيدتي ، فلا شك أن جلالة الملك
سيسترد سريعاً ما كان عليه من عافية .
- جراي : إن جزعك عليه يزيد من علة ،
فبالله عليك هلاً هذأت نفساً ، وأدخلت السرور
إلى قلب جلالته ،
بإقبالك عليه ضاحكة السن قريرة العين .
- ٥ . الملكة إليزابيث : ماذا يكون مصيري لو مات ؟
- جراي : لن يصيبك من ضرٍ إلا فقد ذلك السيد الجليل .
- الملكة : إن في فقد ذلك السيد كل ضر .
- جراي : لقد وهبك الله ولداً باراً ، يعزيك عن فقدته .
- ١٠ . الملكة : أواه ! إنه ما زال صغيراً ،
وسيكلفه رتشارد جلوستر ،

ديفرز

الملكة

١٥

جراى

بكنجهام

ستانلى

الملكة

٢٠

ستانلى

٢٥

وهو رجل لا يحبنى ، ولا يحب أحدا منكما ،
: أو قد قر الرأى على أن يكفله .

: هذا ما نعقد العزم عليه ، وإن كان لم يتقرر
بعد ؛

وهو ما لا بد أن يكون إن حدث للملك مكروه .
(يدخل بكنجهام وستافلى آيرل دربى)

: ها قد حضر لورد بكنجهام ولورد دربى .

: طاب وقتك يا صاحبة الجلالة .

: أعاد الله إلى جلالتك مرحك السالف ،

: إن الكونتس ريتشموند ، يا عزيزى اللورد دربى ،

يشق عليها أن تؤمن على دعائك الكريم .

على أنى أؤكد لك أننى لا أحمل لك كرها ،

لا من أجل كبريائها أو صلفها ،

رغم أنها زوجك وأنها لا تحبني .

: رجوتك مخلصا ألا تصدق

ما يفتره عليها حاسدوها الكاذبون .

وإن كان ما يبلغك عنها صحيحا ،

فاغفرى لها زلتها ، إنها ترجع إلى مرضها الذى يجعلها

متقلبة الأطوار ،

ولا ترجع إلى شر متأصل في نفسها .

ريفرز : أرأيت الملك اليوم يا سيدى اللورد دربي ؟
٣٠ ستاتلى : لقد عدنا الآن حالا ، أنا والدوق بكنجهام ، من
عند جلالته .

الملكة الزابث : إلى أى حد تأملان في شفائه ، أيها اللوردان ؟
بكنجهام : أملا كبيرا ياسيدتى . إن جلالته يتحدث في مرح .
الملكة الزابث : كتب الله له الشفاء ! هل تحدثما إليه ؟
بكنجهام : أجل يا سيدتى . وهو يرغب في أن يصلح

٣٥

بين دوق جلوستر وبين إخوتك ؛
وبينهم وبين اللورد ، كبير أمناء القصر ؛
وقد أرسل يطلبهم إلى حضرته .
الملكة الزابث : وددت لو انتهى كل شيء إلى خير . ولكن ذلك لن
يكون ،

فإنى لأخشى أن تكون سعادتنا قد بلغت ذروتها^(١)

(يدخل دوق جاوستر وهيستنجز ودربى)

٤٠ دوق جلوستر : إنهم يسيثون إلى ولن أحتمل إساءتهم .
من هم أولاء الذين يشكون إلى الملك ، ؟
إنى قاس ، وإنى لا أحبهم ؟

(١) تعنى أن سعادتها قد بلغت أسنى ما يمكن أن تصل إليه ولا بد أن تبدأ في الانحدار .

وحق القديس « بولس » إنهم لا يحبون جلالته إلا
أيسر الحب ؛
أولئك الذين يملأون أذنيه بتلك الشائعات التي
تباعد بين القلوب .

الأنى لا أحسن التملق ، ولا التظرف ،
ولا ألقى الرجال بالابتسام ، ولا أداهن ، أو
أنخادع ، أو أخاتل ،
ولا أنحنى انحناءات الفرنسيين ، وأتودد تودد القروء ،
ألهذا أتخذ عدوا لدودا ؟
ألا يستطيع رجل صريح أن يعيش دون أن
يضممر شرا ؟

أليس بد من أن يشوه السفلة ،
المخنثون ، الماكرون ، المداهنون ، حقيقته الناصعة ؟
: إلى من توجهون فخامتكم الخطاب من بين هذه
الجماعة ؟

جراى

دوق جلوستر : إليك أنت يا من لا شرف له ، ولا فضيلة ،
متى آذيتك ، متى أثمت فى حقك ؟

أو أنت ؟ أو أنت ؟ أو أى واحد من عصبتكم ؟
قاتلكم الله جميعا ! إن جلاله الملك ،

الذى تشمله رعاية أكثر مما تتمنون له ،

لا يكاد ينعم بالهدوء لحظة ،

حتى تزعجه بشكاواكم الحسيسة .

٦٠ الملكة الزابث : أخى جلوستر ، لقد أخطأت فهم الأمر .

إن الملك قد أرسل إليك بمحض إرادته الملكية ،

ولم يحرضه أحد .

ولعله قد فطن إلى حقك الدفين ،

ذلك الذى تفصح عنه أعمالك المكشوفة ،

ضدى وضد أولادى وإخوتى .

٦٥

ولعله باستدعائك

يعرف أسباب ذلك الحقد ، ويقضى عليه .

دوق جلوستر : لست أدرى ، فإن الدنيا قد ساء أمرها ،

حتى غدت العصافير تقتنص صيدها من قمم

لا تجرؤ النسور أن ترتفع إليها .

وما دام كل وضع قد صار سيذا ،

٧٠

فإن كثيرا من السادة قد أصبحوا وضعاء .

الملكة الزابث : مهلا، مهلا ! إنى أعرف ماتعنيه ، أى أخى جلوستر ،

إنك تحسدنى ، أنا وأصدقائى ، لما ننال من رفعة .

لذلك أدعو الله ألا يحوجنا إليك أبداً .

٧٥ دوق جلوتر : وأنا أدعو الله ، كذلك ، ألا يوقعني في محنة
نحوجني إليك .

فلقد كنت السبب في سجن أخي ،
وفيما لحقني من عار ، وما أصاب النبلاء من مهانة .
على حين تغدق العطايا الجزيلة
كل يوم لترفع إلى مرتبة النبلاء
أولئك الذين لم يكونوا يملكون قبل يومين اثنين
ما يجعلهم جديرين بهذا اللقب .

٨٠

الملكة الزابث : أقسم بمن رفعتني من منزلي التي كنت قانعةً بهاراضية عنها .
إلى تلك القمة المحفوفة بالخاوف ،

أني ما أثرت جلالاته قط على دوق كلارنس ،
بل لقد حاولت جهدي أن أشفع له عنده .
إنك تسيء إلى أيها السيد إساءة مخزية
بإثارتك حول هذه الشكوك الدنيئة زورا وبهتانا .

٨٥

دوق جلوتر : لعلك تنكرين أنك كنت السبب .

في الزج باللورد هيستنجز أخيرا في السجن .

٩٠ ريفرز : إن لها أن تنكر يا سيدي اللورد فإن . . .

دوق جلوتر : إن لها أن تنكر أي لورد ريفرز ، فما من أحد
بجهل هذا .

لأنها تستطيع يا سيدى أن تمضى إلى أبعد من
إنكار ذلك .

فتعينك على الوصول إلى منافع جزيلة ،
ثم تنكر بعد ذلك أنها أعانتك ،

وتعزو ما نلته من شرف إلى مواهبك العالية .
أى شيء هذا الذى لا يستطيعه ؟ إنها
تستطيع . . أجل وأيم الحق أنها لتستطيع . .

ريفرز : ما الذى يستطيعه بالله عليك ؟

جلوستر : ماذا تستطيع بالله ! تستطيع أن تتزوج من ملك ،
ملك أعزب وسيم فى ميعة الصبا :

ولا شك أن زيجة جدتك كانت أسوأ .

الملكة إلزابث : يا سيدى اللورد جلوستر ! لقد صبرت

أطول مما ينبغى على إهانتك الوقحة ،

وسخرياتك المرة . والله لأنبئن جلالته بما احتملت

من إساءات بالغة . فإنى لأوثر أن أكون خادما

ريفية

على أن أكون ملكة عظيمة على هذه الحال ؛

أهان وأزدري وأهاجم بهذا الأسلوب .

(تدخل الملكة مرجريت وتقف إلى الخلف)

إني لم أجد في اعتلائي عرش إنجلترا إلا قليلا من
السعادة .

الملكة مارجريت : رب زد ذلك القليل قلة !

١١٠ . إن مكانتك وملكك وعرشك كلها من حقى .

دوق جلستر : ماذا ! أتهددينى بإبلاغ الملك ؟

أبلغيه ولا تحجبي عنه شيئا !

اسمعى : إني سأعترف أمام الملك بكل ما قلته .

وأخاطر بالذهاب إلى البرج .

١١٠ . لقد آن لى أن أتكلم ما دامت جهودى قد نسيت

كل هذا النسيان .

الملكة مارجريت : اذهب أيها الشيطان ! إني لا زلت أذكر جهودك

حق الذكر .

لقد قتلت زوجى هنرى فى البرج

وولدى إدورد المسكين « توكسبرى »

دوق جلستر : لقد كنتُ — قبل أن تصبحى ملكة بل قبل أن

يصبح زوجك ملكا —

مطية له فى جليل شؤونه ،

١٢٠ .

أحصد أعداءه الأقوياء حصدا ،

وأكافئ بسخاء أصدقاءه .

ولقد أرقّت دمي لأجعل من دمه دماً ملكياً .
 الملكة مرجريت : أجهل ، وأرقّت دماً أزكى كثيراً من دمه ودمك !
 ١٢٥ دوق جلستر : بينما كنت طوال ذلك الوقت أنت وزوجك جرای
 نصيرين لبیت لانكستر .

وكذلك كنت يا ريفرز ، ألم يقتل زوجك
 في معركة مرجريت في سانت أولبن ؟
 دعيني أذكرك - إن كنت قد نسيت -
 بما كنت من قبل وما أنت عليه الآن ؛
 ثم بما كنته أنا وما أنا عليه الآن .

١٣٠ الملكة مرجريت : كنت وغداً قاتلاً وما زلت كذلك !
 دوق جلستر : لقد نخلت كلارنس المسكين أباه^(١) وريك
 أجل وحنث بقسمه ، غفر الله له !
 ١٣٥ الملكة مرجريت : أخذه الله بحنثه !

دوق جلستر : ليقاتل إلى جانب إدورد في سبيل التاج
 وكان حصاد هذا اللورد المسكين من ذلك أن حصد
 هو نفسه
 وددت لو جعل الله لي قلباً كقلب إدورد ، قد
 من صخر ،

أو لو جعل قلب إدورد رقيقا رحيا كقلبي .

لأننى ساذج كالطفل لا أصلح لهذه الحياة .

الملكة مرجريت : إلى الجحيم بعارك إذن واترك هذه الحياة ؛

فهناك دولتك أيها الشيطان الرجيم !

لورد ريفرز : يا سيدى اللورد جلوستر ، لقد كنا فى تلك الأيام

الصاخبة .

التي تذكرنا الآن بها لتبرهن على أننا من الأعداء ،

نتبع سيدنا وملكنا الشرعى .

وكذلك سنتبعك إن أصبحت ملكا علينا .

دوق جلوستر : إن أصبحت ملكا عليكم ! إني لأؤثر أن أكون

بائعا جوالا .

إن التفكير فى ذلك لأبعد ما يكون عن نفسى .

الملكة إلزابث : إن كنت ترى أيها السيد أنك لن تظفر بقليل من

السعادة

إن أصبحت ملكا على هذه البلاد ،

فخليق بك أن ترى ضلالة سعادتي

وأنا ملكة عليها .

الملكة مرجريت : إن حظ ملكة هذه البلاد من السعادة حظ ضئيل ،

فإننى أنا هي — بائسة كل البؤس .

إني لم أعد أطيع صبرا .
(تتقدم نحوهم)

استمعوا إلى أيها القرصان المختصمون ،
يا من تختلفون حول اقتسام ما اغتصبتموه مني !
من منكم لا يرتجف حين ينظر إلى ؟
إن كنتم لا تنحنون كالرعية لأنى لم أعد ملكة ،
فإنكم مع ذلك ترتعدون كالمارقين لأنكم خلعتمونى !
أيها الوغد الرعيد ، لا تشح بوجهك عنى .

دوق جلستر : أيتها العجوز الدنسة المغضنة الأسارير ، ما الذى
جاء بك إلى هنا ؟

الملكة مرجريت : لا شيء ، إلا لأحصى ما اقترفت من آثام
وبعدها أدعك لشأنك .

١٦٥ دوق جلستر : ألم يحكم عليك بالنفى وإن عدت كان جزاؤك الموت ؟

الملكة مرجريت : بلى ، لكنى أجد فى النفى ألما

لا أجده فى موتى بالبقاء هنا .

إنك مدين لى بزواج وابن . وأنت بمملكة !

أيها الحلفاء جميعا

إن ما أعانيه من شقاء هو من نصيبكم . حقا وعدلا ،

أما جميع ما تنعمون به من مسرات فهو من حقى .

دوق جلوستر

: تلك هي اللعنة التي استنزها عليك أبي النيل

حينما توجت جبينه الباسل بالورق ،

وأسلت الدموع أنهاراً من عينيه بإهاناتك ،

ثم أعطيته - لكي يحففهما - منديلا

١٧٥

قد غمس في الدم الطاهر الذي قاض من روتلاندا

الجميل .

لإنها لعناته كلها قد حقت عليك ، لعناته التي

استنزها

عليك بكل ما في روحه من مرارة .

إن الله هو الذي اقتص من فعلتك الدموية

لا نحن .

١٨٠ الملكة إلزابيث : ما أحكم عدالة السماء فقد انتقمتم للأبرياء .

هستنجر : أي والله ، لقد كان قتل ذلك الطفل

عملاً دنساً لم يسمع بمثله من قبل ،

بل لقد كان أفظع ما سمعنا به من فعال !

ريفرز : لقد بكى الطغاة أنفسهم حين سمعوا به .

١٨٥ دورست : ما من أحد إلا تنبأ بالقصاص له .

بكنجهام : لقد بكى « نورثمبرلاند » وكان حاضراً - حين

شده .

الملكة مرجريت : عجباً ! أبعد أن كان كل منكم قبل مقدمي
يكشر عن نابه لأخيه متحفظاً لينقض على عنقه .
تتحولون بكل بغضائكم إلى ؟

هل استجابت السماء كل هذه الاستجابة للعنة
يورك المروعة ،

حتى تكفر عن مقتل ذلك الصبي التافه
بموت هنرى وموت إدورد الحبيب
وضياع ملكهما ونفي المؤلم ،

أو تستطيع اللعنات أن تخرق السحب وتنفذ إلى
السماء ؟

إذن فأفسحى الطريق أيتها السحب الكثيبة للعناق
المضطربة !

فليمت ملكاك بالتخمة^(١) إذا لم يمت بالحرب ،
كما مات ملكنا غيلة لكى يصير هو ملكا !
وليمت ابنك إدورد ، الذى هو الآن أمير ويلز ،
قصاصاً لابنى الذى كان أمير ويلز ،

وليمت فى صباه ميمّة زكراء مبكرة كما مات ولدى !
وليقتص منك ، أنت الملكة ، لى أنا التى كانت ملكة ،

(١) إشارة إلى ما عرف عن إدورد الرابع من نهم .

فتعيشى بعد أن يموت مجدك مثلى أنا البائسة !
 ويمتد بك الأجل لتبكى فقد أبنائك ،
 وترى ، كما أرى أنا الآن ،
 امرأة أخرى تستمتع بحقوقك كما تستمتعين الآن
 بحقوقى !

٢٠٥

ولمت سعادتك قبل موتك بزمن مديد ،
 وبعد دهر طويل من الأسى .
 فلتموتى غير أم ولا زوجة ولا ملكة لإنجلترا !
 أى ريفرز ودورست ، وأنت يا لورد هيستنجز ،
 لقد كنتم شهودا

٢١٠

حين طعنت الحناجر الدامية ولدى .
 فالله أدعو ألا يعيش أحدكم أيامه كاملة ،
 بل تنتقص عمره فجاءت الحوادث .
 دوق جلستر : أفرغت من تعاويذك أيتها الحيزبون الداوية البغيضة؟
 ٢١٥ الملكة مرجريت : أو أعفيك من اللعنة ؟ انتظر أيها الكلب لتسمع
 ما أقول :
 إن كانت السماء تدخر من نكباتها الآلية ما يفوق
 ما آتمناه لك ،
 فلتحتفظ بها حتى تنفج آثامك .

- ثم لتقذف حيثنذ بسخطها عليك
يا من يعكر صفو هذه الحياة البائسة .
- ولتدأب وخزات الضمير على الحز في نفسك ! ٢٢٠
ولتظن بأصدقائك الخيانة في حياتك ،
ولتخذ أعز خلانك من الخونة العريقين ،
وليجهف النوم عن عينيك البشتعين ،
إلا حين يروعك حلم مخيف بجحيم من الأبالسة
الشوه .
- أنت أيها المسيح المشوم ، أيها الخنزير النهم ، ٢٢٥
يا من كتب عليه منذ مولده
أن يكون وضيع الخلق شريرا ،
من أبناء الجحيم ، وخزيا لرحم أمه الحزين .
أيها النسل الذي يزدريه صلب أييه ،
يا خرقة الشرف البالية ، أيها البغيض الممقوت ! ٢٣٠

دوق جلوتر : مرجريت !
الملكة مرجريت : رتشارد !
دوق جلوتر : لبيك !
الملكة مرجريت : لست أدعوك .
دوق جلوتر : معذرة ، فقد حسبت

إنك دعوتني بكل تلك الأسماء المريرة !

الملكة مرجريت : أجل لقد دعوتك، ولكني لم أنتظر منك جوابا .

فلتدعني أختم لعنتي !

٢٣٥

دوق جلستر : لقد ختمتها أنا بقولي : مرجريت .

الملكة إلزابث : وهكذا استنزلت لعنتك على نفسك .

الملكة مرجريت : أيتها الملكة الزائفة ، يا مظهرا فارغا لما كان عليه

مجدى ،

لماذا تنثرين شهادك على هذا العنكبوت المتضخم

بالسم

هذا الذي يلفك بشباكه القاتلة ؟

٢٤٠

حمقاء ، حمقاء ! إنك تشحذين سكينتا تقتلن

بها نفسك ،

وسياتي يوم تسأليني فيه أن أستنزل معك اللعنات

على تلك الضفدعة السامة الحدياء .

هيتنجز : أيتها العرافة الكاذبة : كفي عن لعناتك المحمومة ،

ولإضاق بك صبرنا فأدينك .

٢٤٥

الملكة مرجريت : خزيا لك ! لقد ضاق بك صبرى .

ريفرز : لو كنت قد عوملت بما تستحقين لتعلمت الأدب .

الملكة مرجريت : لو عوملت بما أستحق لأبديتم نحوى ما يجب من أدب .

ولا اعتبرتموني ملكتكم واعتبرتم أنفسكم رعاياي .
ألا فلتعاملوني بما أستحق ، ولتعرفوا واجبكم !

٢٥٠

دورست : لا تجادلوها فإنها مخبولة ،

الملكة مرجريت : رويدك أيها السيد المركيز لا تكن وقحا .

إن الناس لم يكادوا يألفون لقبك هذا الجديد .

وددت لو استطعت أيها النبيل المحدث

أن تقدر كيف يكون حزنك لو فقدته !

٢٥٥

إن من يقفون على القمة يتعرضون لكثير من
العواصف

التي تهزمهم ، فإذا ما سقطوا تمزقوا إربا !

دوق جلوستر : تلك حكمة جميلة والله — فاحفظها — احفظها

أيها المركيز .

دورست : إنها تمسك يا سيدى بقدر ما تمسنى .

٢٦٠ دوق جلوستر : أجمل وأكثر مما تمسك . ولكنى أقف على القمة

منذ مولدى ،

فعشنا العالى قد بنى على قمة شجر الأرز ،

يعبث بالرياح ويستخف بالشمس ،

الملكة مرجريت : ويحيل نور الشمس إلى ظلام ،

واحسرتاه ، واحسرتاه

إن شمس ابني الآن في ظلام الموت !
بعد أن طوى الحقد أشعتها المنتشرة المشرقة في
ظلام أبدى .

٢٦٥

إن عشكم العالی يقوم مكان عشنا العالی .
رب إنك تراه ، فلا تغفل عنه نقمتك ،
وكما كسبوه بالدماء ، فليفقدوه بالدماء !
: حسبك ، حسبك ! إن لم يكن رحمة بي فخزيا منك .

٢٧٠ جلوسر

الملكة مرجريت : لا تحثني على رحمة أو خزي ،
فقد عاملتني بغير رحمة ،
واغتلت آمالي بكل خزي ،
حتى أصبحت رحمتي غضبا وحياتي خزيا ،
وفي ذلك الخزي ما زالت سورة حزني تعيش !

٢٧٥

بكنجهام : كفى . . كفى !
الملكة مرجريت : أى أميرى بكنجهام ، سأقبل يدك ،
ليكون ذلك شاهدا على ولائى وصداقتى لك :
فلتكتب السعادة لك وليبتك النبل ،
فإن ثيابك لم تلطخ بدمائنا ،
ولعنتى لم تشملك .

٢٨٠

بكنجهام : ولا شملت أحداً من الحاضرين ، فإن اللعنات
لا تمضى أبداً

إلى أبعد من شفاه من ينفثونها في الهواء .
 الملكة مرجريت : لست أومن إلا بأنها تصعد إلى السماء .
 فتعكر صفو أمنها وسلامها .

٢٨٥

(بينها وبينه)

أى بكنجهام حذار من ذلك الكلب ! حذار
 فإنه يعض حين يتملق ، وحين يعض
 يخلف نابيه المسموم قرحة قاتلة .
 اقطع صلتك به ، حذار منه ،
 فقد تركت الخطيئة والموت والجحيم سماتها عليه ،
 وقامت على خدمته كل شياطينها .
 دوق جلوتر : ماذا تقول يا سيدى اللورد بكنجهام ؟
 بكنجهام : لا شئ ذا بال يا سيدى الكريم .
 الملكة مرجريت : ماذا ! أتستخف بى لما أسديت إليك من نصيح
 رقيق ؟

٢٩٠

وتتملق ذلك الشيطان الذى حذرته منه ؟

إذن فاذكر ذلك حين يجىء يوم

يتفطر فيه قلبك من الأسى ؛

٢٩٥

وإذ ذاك ستقول إن مرجريت المسكينة قد كشف

عنها الحجاب .

فليعيش كل منكم مطية لبغضائه ، وليعيش هو
هدفا لبغضائكم .

ولتعيشوا جميعا وقد حلت بكم بغضاء الله .

٢٠٠

(تخرج)

هستنجز : إن شعري ليقفّ من سماع لعنائها .
ريفرز : وكذلك يقفّ شعري — إني لأعجب لماذا يتركونها
طليقة .

دوق جلوستر : لست أستطيع أن ألومها ، فبحق العذراء
لقد قاست من الظلم أكثر مما ينبغي ،
وإني لأشعر بالندم لما شاركت في هذا الظلم .
الملكة إلزابث : لست أعرف أني ظلمتها قط .

٢٠٥

دوق جلوستر : ولكنك تنعمين بعاقبة ما نالها من ظلم .
لقد أخذتني الحمية في خدمة أحد الناس ،
ولكنه الآن يذكر خدماتي في فتور .
أما عن كلارنس فبحق العذراء لقد جوزى خير
الجزاء .

٢١٠

وها هو ذا يسمن للذبح تقديرا لجهدها
غفر الله لمن كانوا سبب سجنه .

ريفرز : تلك خاتمة طيبة لتلاثم شرائع المسيحية ،

أن نسأل الغفران لمن آذانا .

٣١٥ دوق جلوستر : إنه لأمر طبيعي (بينه وبين نفسه) وهو عين العقل ،
فلوا استنزلت اللعنة لكنت قد استنزلتها على نفسي
(يدخل كاتسي)

كاتسي : مولاتي ، إن الملك يدعوك
ويدعو فخامتك — ويدعوكم يا سادتي اللوردات .
الملكة إلزابث : أي كاتسي ، سآتي ، هلا أتيتم معي أيها السادة .
٣٢٠ ريفرز : سنصحبك يا سيدتي

(يخرجون جميعاً ما عدا جلوستر)
دوق جلوستر : إني أقترف الإثم وأبدأ بالشكوى ،
وأتهم الآخرين بأشنع ما دبرت من شرور .
فهانذا أبكي لمصير كلارنس
الذي رميته رمياً في ظلمات السجن .
٣٢٥ أمام هؤلاء السذج المخدوعين
هيستنجز ، ودربي ، وبكنجهام ،
وأزعم أن الملكة وشيعتها
هم الذين أثاروا الملك على أخي الدوق ،
وها هم أولاء قد صدقوا قولي فهم يحماوني
على أن أنتقم من ريفرز وفوجان وجراي ،
٣٣٠

ولكنى أتخسر وأسوق لهم نصا من الإنجيل
بأن الله يوصينا بأن نجزى بالشر خيرا .

وهكذا استر شرى المفصوح
بخرق أسرقها من الكتاب المقدس ،
فأبدو كالقديس وأنا أمضى فى تمثيل دور الشيطان !

٣٣٥

(يدخل قاتلان)

ولكن مهلا ها هما ذان القاتلان .
أى صديقى القويين الجريئين المصممين
أذاهبان أنما لأداء تلك المهمة ؟

القاتل الأول : نعم يا مولاي — وقد جئنا لناخذ الإذن

بالدخول إلى حيث يقيم .

٣٤٠

دوق جلوستر : أحسنتما التدبير — إنه معى هنا

عندما تفرغان اذهبا إلى قصر « كروسبي » .

(يعطيه الإذن)

ولكن عليكم أن تعجلا بقتله أيها السيدان ،
وأن تكونا مصممين فلا تستمعا إلى توسلاته .
فإن كلارنس بارع الحديث ، وربما استطاع
أن يعطف قلبيكما إن أنما استمعتما إلى حديثه .

٣٤٥

القاتل الأول : هه ! اطمئن يا سيدى فلن نستمع إلى هرائه .

إن أصحاب الكلام لا يحسنون العمل ،
 وثق أننا جئنا لنستخدم أيدينا لا لسانينا .
 ٣٥٠ دوق جلوتر : إن عيونكما لا تذرف إلا الصخر حين تذرف
 عيون الحمقى دموعاً ،
 إني معجب بكمما أيها الفتيان فامضيا إلى عملكما
 ولا تلويان على شيء
 اذهبا ، اذهبا — وعجلا .
 القاتل الأول : سنذهب يا سيدى .
 (يخرجان)

الفصل الأول

المنظر الرابع

لندن . البرج

(يدخل كلارنس وبراكنبرى)

براكنبرى : لم تبدوا اليوم يا صاحب العظمة ، مكتئب النفس كل هذا الاكتئاب ؟

كلارنس : آه ! لقد قضيت ليلة نكراء
ملينة بالمشاهد المخيفة والأحلام والمروعة ؛
حتى لقد وددت ، وأنا المسيحى التقى ،
ألا أقضى ليلة مثلها ،
ولو اشتريت بها دنيا من الأيام السعيدة .

ما كان أهولها من ليلة مفزعة !
براكنبرى : ماذا رأيت ، يا صاحب العظمة ، فى حلمك ؟
: أرجو أن تقصه على .

كلارنس : خيل إلى أنى قد هربت من البرج
وركبت سفينة لأعبر إلى برجندى ،

وكان بصحبتى أخى جلوستر ،
 فأغراني أن أخرج من غرفتى وأسير على ظهر السفينة ؛
 وهنا اتجهنا بأبصارنا إلى إنجلترا ،
 ورحنا نتذكر آلاف من اللحظات المروعة التى مرت
 بنا أثناء الحرب بين بيتى يورك ولانكستر .

١٥

وبينا كنا نسير على ظهر السفينة المترنح
 نخيل إلى أن جلوستر قد عثر فدفعنى فى سقطته
 وأنا أحاول أن أقبله من عثرته —

بعيدا عن السفينة إلى أمواج البحر الصاخبة .
 رباه ، رباه ! ما أفضح أن يموت المرء غريقاً !
 وكم كان صوت الماء فى أذنى مخيفاً !
 وكم رأت عينائى من مشاهد الموت المنكرة !
 لقد خيل إلى أنى أنظر إلى حطام ألف سفينة
 تروع النظر ؛

٢٠

وإلى ألف رحل تنهش الأسماك لحومهم ؛
 ورأيت قضيباً من الذهب ، ومراسى ضخمة ،
 وأكواما من اللؤلؤ ،
 وأحجاراً كريمة ، وجواهر لا تقدر بثمن ،
 كلها قد انتشرت فى قاع البحر :

٢٥

وقد استقر بعضها في جماجم الموتى .
 وإلى تلك الحفر التي كانت من قبل مقرا للعيون ،
 زحفت جواهر متألفة كأنما تسخر من تلك العيون ،
 وتتطلع كالمحب الوطن إلى قاع البحر اللزج ،
 وتهزأ بعظام الموتى المبعثرة من حولها .

٣٠

براكنبرى : أو كان لديك متسع من الوقت ساعة الموت
 لتنعم النظر إلى خفايا البحر ؟

٣٥ كلارنس : لقد خيل إلى ذلك . وكم حاولت
 أن ألغظ الروح ، ولكن العباب الحقود ،
 كان يبقيا ، ويمنعها من الانطلاق ،
 لتلتمس الهواء الخالي ، المنفسح ، الهائم ؛
 وكان يخنقها في صدرى اللاهث

٤٠ : ألم يوقظك هذا العذاب الأليم ؟
 الذي أوشتك أن ينفجر ويقذف بها إلى البحر ،

براكنبرى : أوه! كلا . فقد طال حلمي بعد أن غادرت الحياة :
 كلارنس : وخيل إلى أن العاصفة بدأت تجتاح روحى ،
 التى دفعها ذلك التيار الكثيب ،

٤٥ : لتعبر مع أولئك الملاحين ، ذوى الوجوه العابسة ،
 إلى دولة الظلام الأبدى ، التى يصفها الشعراء .

وكان أول من لقي روحى الغريب هناك
هو جمائى العظيم ورياك الشهير
وعندها صاح : « أى قصاص ذلك
الذى ادخرته دولة الظلام هذه لكلارنس الحائن »
جزاء خيانتته ؟

••

ثم اختفى ، وعندئذ طاف بي
خيال كالمملك أشقر الشعر
ملطخ بالدماء ، وصاح فى صوت حاد :
« لقد جاء كلارنس ، كلارنس المخادع ،
المتقلب ، الحائن ،
ذلك الذى طعننى فى المعركة بالقرب من ” توكسبرى “
خديه أى آلهة الانتقام ، وأذيقه العذاب ! »
ونخيل إلى بعد قوله أن طائفة من الأبالسة الحبيثة
قد أحاطت بي ، وأخذت تعوى فى أذنى بصيحات
بغیضة هزتنى كل صيحة منها حتى صموت ،
ولبثت بعدها وقتا طويلا

••

٦٠

أعتقد أنى لا زلت فى الجحيم ؛
هكذا كان أثر ذلك الحلم المفرع !
: لا عجب ، يا سيدى اللورد ، إن كان قد أفزعك
براكنبرى

فلاني أظن أني أفزع لسماحك وأنت تقصه على .
: أي براكنبرى — لقد أتيت هذه الفعال

التي تدين الآن روجي

من أجل إدورد ؛ فانظر كيف يجزيني !
رباه ، إن لم تستطع صلواتي الحارة أن تمحو غضبك ،
وإن كنت قد شئت أن تقتص مني لما اقترفت من آثام ،
فأنزل غضبك علىّ وحدي وابق على زوجي البريئة
وأطفالى المساكين ! —

أيها الحارس الرحيم ، سألتك أن تبقى معي ؛
إن روجي مثقلة ؛ وأشتهى أن أنام .
: سأفعل ياسيدي اللورد : وهب الله عظمتك راحة طيبة !

(ينام كلارنس)

إن الهم يقلب الأوقات ويقضّ ساعات الراحة ،
ويحيل الليل صباحا ، والظهيرة ليلا .

وليس يملك الأمراء من مجد إلا ألقابهم ؛
وليس لهم لقاء ما يجدون في نفوسهم من شقاء ؛
إلا مظاهر الشرف . وهم في سعيهم
وراء السعادة ، التي لا ينعمون بها ،
لا يلقون ، في كثير من الأحوال ، إلا حشداً

من الموم المضنية :

فهم بالقابهم لا يفترون عن العامة ،

إلا بما لهم من مظاهر المجد . (يدخل القاتلان)

: عجباً ! من هناك ؟

القاتل الأول

: من أنت يا الله . وكيف جئت إلى هنا ؟

براكبرى

: أريد أن أتحدث إلى كلارنس ،

القاتل الأول

وقد جئت إلى هنا على قدمي !

: أو تتحدث بكل هذا الإيجاز ؟

براكبرى

: خير للمرء يا سيدى أن يكون موجزاً من أن يكون مملاً .

القاتل الثانى

أره إذننا ، ولا تتكلم بأكثر من هذا .

(يقرأه براكبرى)

: إن هذا الإذن يأمرنى ،

براكبرى

أن أسلم إليكم دوق كلارنس ،

ولن أناقش غاية هذا الأمر

لأنى لا أحب أن تكون لى يد فيه .

هاكما المفاتيح ، وها هوذا الدوق نائم هناك .

أما أنا فسأذهب إلى الملك ،

فأنبئه بأنى أسلمت سجينى إليكما .

: من الحكمة أن تفعل يا سيدى ،

القاتل الأول

ومع السلامة . (يخرج براكنبرى)

القاتل الثانى : ماذا ! أأطعنه وهو نائم ؟
القاتل الأول ١٠٠ : لا — فإنه سيرميننا حينئذ بالخبين
حين يصحو .

القاتل الثانى : حين يصحو ! إنه لن يصحو
إلا يوم الحساب .

القاتل الأول : ويحك سيقول يوم الحساب إننا طعناه وهو نائم .
القاتل الثانى ١٠٥ : إن كلمة « الحساب » قد أثارت فى نفسى شيئاً
من تأنيب الضمير .

القاتل الأول : ماذا ! أتمخاف ؟

القاتل الثانى : لست أخاف قتله ومعى إذن به .
ولكنى أخاف أن أذهب إلى الجحيم من أجله ،
وهناك لن يحمينى منها أى إذن .

القاتل الأول ١١٠ : حسبتك قوى العزم !

القاتل الثانى : نعم ، إنى لقوى العزم إن أبقيت على حياته .

القاتل الأول : إذن أعود إلى دوق جلوستر
وأقول هذا له .

القاتل الثانى : سألتك أن تنتظر لحظة :

فإنى لآمل أن تذهب عنى هذه النزوة الحارة . ١١٥

لقد اعتدت ألا يسيطر علىّ هذا الشعور
إلا بمقدار ما أعد إلى عشرين .

القاتل الأول : كيف تجدك الآن ؟

القاتل الثاني : عجباً ! ما زلت أحس في نفسي

ببعض بقايا الضمير ١٢٠

القاتل الأول : تذكر مكافأتنا بعد أن نفرغ من مهمتنا .

القاتل الثاني : لموتن والله ! لقد نسيت المكافأة .

القاتل الأول : وأين ضميرك الآن ؟

القاتل الثاني : عجباً ، إنه في كيس دوق جلوستر !

القاتل الأول ١٢٥ : إذن فسيطير حين يفتح الدوق كيسه
ليعطينا المكافأة .

القاتل الثاني : لا ضمير ، دعه يذهب ،

فلن يأبه له إلا القليلون

بل وقل إنه لن يأبه له أحد .

القاتل الأول ١٣٠ : وكيف إذا عاودك مرة أخرى ؟

القاتل الثاني : لن يكون لي به شأن .

فهو يحيل المرء إلى مخلوق جبان .

إن أراد أن يسرق أنثبه . وإن أراد أن يسب منعه ،

وإن أراد أن يأثم مع زوج جاره فضمحه .

إنه روح حيي نخجول

١٣٥

يتمرد في صدر المرء ويزحم طريقه بالعقبات .
 لقميد جعلني مرة أرد كيساً من الذهب
 عثرت عليه مصادفة . إنه يفقر كل من يرهاه .
 إن أهل المدن والبلدان يطردونه ويعبدونه شيئا خطيرا ،
 وكل من يطمع في أن يحيا حياة رغدة
 يحاول دائماً أن يعيش من دونه ،
 ولا يستمع إلا إلى صوت هواه وحده .

١٤٠

القاتل الأول : إنه في هذه اللحظة بجاني يحاول أن يشيني عن
 قتل الدوق .

القاتل الثاني : فكر في الشيطان ولا تصدقه .

فإنه يتقرب إليك ثم يورثك الندم .

١٤٥

القاتل الأول : إني رجل قوى ،
 وأؤكد لك أنه لن يستطيع أن يغلبني .

القاتل الثاني : هذا حديث رجل شجاع

حريص على سمعته .

هيا بنا . هلا فرغنا لذلك العمل ؟

١٥٠

القاتل الأول : اضربه على رأسه بمقبض سيفك ،

ثم ألق به في برميل النبيذ

في الغرفة المجاورة .

: لنعم الرأي ! ولننقعه ليصبح « نبيذ النبيذ »

: رفقا ! فإنه يستيقظ !

: فلتضرب !

: كلا فلنتداول معه أولا .

: أين أنت أيها الحارس ؟

: أعطني كأساً من النبيذ .

: ستشرب بعد لحظة قصيرة كفايتك من النبيذ .

يا سيدي اللورد

: من أنت بالله ؟

: رجل مثلك .

: ولكنك لست مثلي من دم ملكي خالص .

: وكذلك لست أنت مثلنا ؛ غاية في الإخلاص .

: إن صوتك كالرعد وإن كنت وضعياً في هيئتك .

: إن صوتي الآن هو صوت الملك . أما هيئتي

: فهي هيئتي أنا .

: يا لحديثك إنه ليشتيع فيه الموت والظلام !

: إن عينيك تتوعداني . لم تبدو هكذا شاحبا ؟

: ومن أرسلك إلى هنا ؟ ولم جئت ؟

/ القاتل الثاني

١٥٥ القاتل الأول

القاتل الثاني

القاتل الأول

كلارنس

١٦٠ القاتل الثاني

كلارنس

القاتل الثاني

كلارنس

القاتل الثاني

١٦٥ كلارنس

القاتل الثاني

كلارنس

- ١٧٠ الاثنان : لكى - لكى . . .
- كلارنس : لكى تقتلانى ؟
- الاثنان : أجل - أجل .
- كلارنس : إنكما لم تجدوا فى قلبكما الشجاعة لتخبرانى
إلا بشق الأنفس .
- وهكذا لن تجدوا الشجاعة لتقتلانى .
- ١٧٥ : بم أسأت إليكما أيها الصديقان ؟
- القاتل الأول : لم تسيء إلينا ، بل إلى الملك .
- كلارنس : سيصلح الأمر بينى وبينه ثانية .
- القاتل الثانى : أبداً يا سيدى فتهياً للموت
- كلارنس : أو قد انتخبتهما من بين الرجال جميعاً
لتقتلا الأبرياء ؟ ماذا جنيت ؟
- ١٨٠ : وأين الدليل على جنايتى ؟
- ومن هم أولئكما المحلفون الذين أعلنوا قرارهم
إلى القاضى العبوس ؟
- أو من هو ذلكما الذى أصدر هذا الحكم المرير
بموت كلارنس المسكين ؟
- ١٨٥ : إن تهديدكما إياى بالموت قبل أن يديننى القانون
أمر لا يبيحه القانون أبداً . لذلك أطلب إليكما

بحق دم المسيح الغالى الذى أريق فى سبيل
خطايانا الجسيمة ، إن كننا تطمعان فى مغفرة الله
أن تذهبا ولا تمدا إلى يدا بشر !
فإن العمل الذى تكفلتما به ملعون من الله .

١٩٠

القاتل الأول : إنا سنفعله لأننا أمرنا به .

القاتل الثانى : والذى أمرنا هو ملكنا .

كلارنس : أيها الرجلان الحقيران الخاطئان ! إن ملك الملوك الأكبر

قد أمر ، فى لوح شريعته ،

١٩٥

ألا ترتكبا جريمة القتل .

أتريدان إذن أن تزدريا أمره وتطيعا أمر إنسان ؟

حذار فإن الانتقام فى يديه

يصبه على رؤوس من يخالفون شريعته .

٢٠٠ القاتل الثانى : وسيصب عليك هذا الانتقام نفسه

لحنثك بعهدك ولما اقررت أنت من جرائم قتل كذلك .

لقد أقسمت قسما مقدسا

أن تقاتل فى سبيل بيت « لانكستر »

القاتل الأول : وقد حنثت بقسمك وخنت أمانة الله ،

ومزقت بسيفك الحائن

٢٠٥

أحشاء ابن ملكك .

- القاتل الثاني : الذى أقسمت أن تحبه وتحميه .
- القاتل الأول : فكيف تتوعدنا بشريعة الله الصارمة :
وقد عصيتها على هذا النحو الأثيم ؟
- ٢١٠ كلارنس : واحسرتا ! فى سبيل من اقترفت ذلك الإثم ؟
فى سبيل إدورد أنخى ومن أجله هو .
فكيف يمكن أيها السيدان أن يكون قد أرسلكما لقتلى ؛
ونصيبه فى ذلك الإثم لا يقل عن نصيبى ؟
ألا فاعلما أن الله ، إن كان سينتقم لتلك الفعل .
فهو سينتقم جهراً .
- ٢١٥
فدعا الأمر فى يده الجبارة ،
فليس به من حاجة إلى تلك الطرق الملتوية ،
أو تلك السبل غير المشروعة ،
ليقضى على من أثار غضبه .
- ٢٢٠ القاتل الأول : فمن أباح لك إذن أن تكون رسول الموت .
حين أصيب بطعنك القاتلة « بلاننا جننت » ،
ذلك الأمير الصغير الشجاع والفارس الفتى فى
جماله المتفتح ؟
- كلارنس : حبي لأنخى ، والشيطان ، وسورة الغضب .
- القاتل الأول : وكذلك جاء بنا لنقتلك

- ٢٢٥ : حبنا لأخيك وواجبنا ، ونخطيتك .
- كلاونس : إن كنتمأتحبان أخي فما ينبغي لكما أن تبغضاني :
- فإني أخوه الذي يخلص له الحب إخلاصا .
- وإن كنتمأ قد استؤجرتما بمال فارجمأ ،
- وسأرسل إلى أخي جلوستر ليعجزيكما عن حياتي
- ٢٣٠ : خيرا مما كان سيعجزيكما إدورد عن موتي .
- القاتل الثاني : أنت مخدوع ، فإن أخاك جلوستر يضمرك لك الكره .
- كلاونس : آه ! كلا - إنه يحبني ويخلص لي الود .
- اذهبا من عندي إليه .
- القاتلان : كذلك سنفعل .
- كلاونس : وقولا له إن أبانا الأمير يورك
- ٢٣٥ : حين بارك أبناءه الثلاثة بيده الظافرة ،
- وسألنا ، من أعماق قلبه أن يحب بعضنا بعضا ،
- لم يدر بخلده أن سيكون بيننا هذا الخلاف والحقاء .
- ذكرأ جلوستر بهذا فسيلدرف الدمع .
- القاتل الأول : بل سيلدرف « الصخر » كما أمرنا أن نذرله بدل الدمع .
- ٢٤٠ : آه ، لا تتحدثا بسوء عنه فإنه عطوف رحيم .
- كلاونس : آه ، لا تتحدثا بسوء عنه فإنه عطوف رحيم .
- القاتل الأول : رحيم كرحمة الثلج إذ يسقط أيام الحصاد .
- دع ما أنت فيه ؛ فإنك تخدع نفسك .

ذلك هو الذى أرسلنا إلى هنا لنقتلك .

كلا رنس : مستحيل ! لقد أخذنى بين ذراعيه ساعة افترقنا

وأقسم وهو يشتحب

٢٤٥

أن يبذل كل جهد ليخلصنى .

القاتل الثانى : أجل — فهذا هو ما يفعله حين يخلصك

من رق الحياة فتنتلق إلى سعادة السماء .

القاتل الأول : صل لربك فإنك لا محالة ميت ، يا سيدى اللورد .

٢٥٠ كلا رنس : أتشعران هكذا بالتقوى

وتنصحانى بأن أصلى لربى .

ثم تغفلان عن نفسيكما

وتنسيان أنكما تخاصمان الله بقتلكما إياى ؟

أيها السيدان تدبرا أمركما

فإن من أمركما باقتراف هذه الفعلة سييغضبكما من أجلها .

٢٥٥

القاتل الثانى : وماذا نفعل ؟

كلا رنس : كونا رحيمين تستنقذا نفسيكما من الضلال .

القاتل الأول : نرحم ! كلا ، إن هذا شأن الجبناء أو النساء .

كلا رنس : وألا ترحما شأن الوحوش والضواري والشياطين

فمن منكما لو قدر له أن يكون ابن أمير ،

محجوراً على حريرته ، كما هو شأنى الآن ،

٢٦٠

ثم يأتيه قاتلان مثلكما ،
لا يتوسل استنقاذاً لحياته ؟ إني لحرى في هذه الحال
أن أتوسل ؛ كما أنكما حريان أن تتوسلا ،
لو وقعتم فيما أنا فيه من شدة .

(يخاطب القاتل الثاني)

أى صديقى ، إنى ألمح فى نظراتك بعض الرحمة
إن لم تكذبنى عيناك . فتعال إلى جانبي وتوسل من أجلى .
ألا يثير أمير فى ذل السؤال ، رحمة السائلين ؟

٢٦٥

القاتل الثاني : انظر وراءك يا سيدى اللورد !

(يطمئه)

القاتل الثاني : نخذ هذه وتلك (يطمئه) فإن لم تكفيا
فسأغرقك فى برميل النبيذ الذى هناك .

٢٧٠

(يجر الجثمان إلى الخارج)

القاتل الثاني : يا لها من قتلة منكرة ارتكبتها بشناعة !

وددت لو غسلت يدى — مثلما فعل « بيلاطس » (١)

(١) بيلاطى (Pilate) حاكم فلسطين الرومانى أيام المسيح . وقد عرف بالقسوة والظلم . وهناك أسطورة تقول إنه دفن فى بحيرة من بحيرات الألب وإن الشيطان يخرج من جثمانه ، مرة كل عام ، حين تحل ذكرى صلب المسيح ، فيجلسه ويفسل يديه تكفيراً عن مشاركته فى ذلك العمل .

من تلك الجريمة البشعة النكراء !

(يعود القاتل الأول)

القاتل الأول : عجي لك ! خبرني ، كيف لم تغنى ؟

والله ليعرفن الدوق بتقصيرك !

٢٧٥

القاتل الثاني : وددت لو قد عرف أنى أنقذت أخاه !

خذ المكافأة أنت وانقل إليه ،

أنى نادم على قتل الدوق .

(يخرج)

القاتل الأول : أما أنا فلست كذلك — اذهب أيها الجبان !

والآن لا بدّ لي أن أوارى جسده في حفرة ما

٢٨٠

حتى يأمر الدوق بدفنه ؛

وسأرحل بعد أن أقبض أجرى ،

فليس منذ الآن مقام في هذا البلد ، إذ لا بد

يوما أن يذيع السر .

(يخرج)

الفصل الثانى

المنظر الأول

لندن . القصر

(صوت أبواق - يدخل الملك إدورد المريض محمولا على كرسى ،
ومعه الملكة إلزابث ودورست ، وريفرز ، وهيستنجر ،
وبكنجهام ، وجرى ، وآخرون) .

الملك إدورد : أما وقد أنجزت اليوم عملا عظيما ،
فلتحافظوا ، أيها النبلاء ، على هذه العروة الوثقى ،
فإني أنتظر ، من يوم إلى آخر ، رسولا من مخلصي ،
لينقذنى من هذه الحياة .

والآن يستطيع روحى أن يصعد فى سلام إلى السماء ،
ما دمت قد أقمت السلام بين أصدقائى فى الأرض .
أى هيستنجر ، وريفرز ، فليشد كل منكما على يدا الآخر .
لا تداريا البغضاء بل أقسا مخلصين على المحبة .

ريفرز : تالله لقد برئ قلبي من كل حقد أو حسد .
وهأنذا أختم بيدي على ما بقلبي من ود صادق .

هيستنجر : وهأنذا أوثق عهدي مثله ، وفقنى الله !
الملك إدورد : حذار أن يكون ذلك عبثا منكما أمام ملككما ،

- وإلا فضح ملك الملوك المتعالى
رياءكنا الخبيء وكتب عليكما أن يهلك كلاكما صاحبه . ١٥
- هيستنجز : ذاك عهدى على المودة الخالصة وفقنى الله !
ريفرز : وكذلك فليوفقنى ما أقمت على محبة هيستنجز !
الملك إدورد : مولاتى ، لست أستثنيك من هذا ،
ولا ابنك دورست ، ولا أستثنيك يا بكنجهام .
لقد كنتم شيعاً متخاصمين . ٢٠
- أى زوجى ، انخلصى الود للورد هيستنجز ودعيه يقبل يدك ،
وليكن ذلك منك دون خديعة .
الملكة إلزابث : إليك هيستنجز ، وإن أذكر أبداً بعد اليوم بغضاءنا السابقة ،
كتب الله لى ولقوى التوفيق !
- الملك إدورد : دورست ، عانقه . أى هيستنجز ، أخلص الود للمركيز . ٢٥
دورست : أقسم أنى أنا لن أخون
هذا الود المشترك
هيستنجز : وكذلك أقسم يا سيدى اللورد . (يتماثقان)
الملك إدورد : والآن أيها الأمير بكنجهام ،
فلتؤكد ولاءك بأن تعانق شيعه زوجى ، ٣٠
فتسعدنى باتحادكم .
بكنجهام (إلى الملكة) : — فليحل عقاب الله على
إن حملت لك أو لعشيرتك أى بغضاء

أو لم أبذل لك ولهم أصدق الود -
 أن أغدو بغیضاً إلى من هم أليق الناس بأن يحبوني .
 فإذا ما كنت في أشد الحاجة إلى معونة صديق
 أثق أكبر الثقة بصداقته
 فليجعله الله
 ما كراً مخادعاً حقوداً .

٣٥

إن فتر حبي لك ولعشيرتك (يتعاقبان)
 : إن عهدك هذا ، أيها الأمير بكنجهام ،
 قد كان مقويًا منعشًا لقلبي السقيم .
 وليس ينقصنا الآن ، ليكمل هذا السلام ،
 إلا أنخي جلوستر .

٤٠

الملك إدورد : ها هو ذا الدوق قد جاء في اللحظة المناسبة .
 (يدخل جلوستر)

٥٠

جلوستر : طاب صباح مليكي ، وملكتي ،
 سعد وقتكم أيها السادة النبلاء !
 : لقد كان يوماً سعيداً حقاً ،

الملك إدورد

فعلنا فيه ، يا جلوستر ، كثيراً من الخير ،
 وخلقنا من الخصام صلحاً ، ومن الكراهية حياً ،
 بين هؤلاء النبلاء الذين امتلأت نفوسهم بالغضب والشر .

٥٠

- جلوستر . : ذلك جهد مشكور ، أى مليكى الأجل !
- أما أنا ، فإن كان من بين هذه الجماعة من النبلاء
أو أى أحد من الحاضرين
من يرانى عدوا ٥٥
- لما بلغه عنى من أخبار كاذبة ، أو ظنة من ظنون مخطئة ،
أو كنت قد أسأت غير عامد أو فى سورة الغضب ؛
إساءة يحملها لى أحدٌ هنا من الحاضرين ،
فلانى راغب إليه أن يصفح عما أتيت :
فلانى أبغض العداء بغضى للموت ! ٦٠
- وأرغب من الأخيار جميعاً كل حب .
وأبدأ فأرجو منك الصلح يا مولاتى ،
وسأشتريه بخدماتى المخلصة ،
ومنى يا ابن العم النبيل بكنجهام
إن كان بيننا شيء من الضغن ، ٦٥
- ومنكما أى لورد ريفرز ، ولورد جراى ،
ومنكم جميعاً ، يا من سخطوا علىّ دون جريرة ،
من الدوق والإيرل واللورد والسيد ، منكم جميعاً .
فلمست أعرف فى نفسى أدنى خصومة ،
بينى وبين أحد من أبناء هذا الوطن . ٧٠

فما في نفسي إلا براءة طفل ولد من يومه هذا ،
وأحمد الله على ما وهبني من تواضع !
الملكة إلزابث : سيظل هذا اليوم على مرّ الزمن يوماً مقدساً ،
وإنى لأسأل الله أن تكون كل هذه الضغائن
قد انمحت إلى غير رجعة ،

٧٥

وأتوسل إليك ، يا صاحب الجلالة ،
أن تصفح عن أخينا كلارنس .
جلوستر : سيدتي ، أو بذلت لكم حبي
لكي أهان على هذا النحو في حضرة الملك ؟
منذا الذي لا يعرف أن الدوق النبيل قد مات ؟
(يفزعون جميعاً)

٨٥

إنك تسيئين إليه إذ تسخرين من جثمانه .
ريفرز : منذا الذي لا يعرف أنه مات ! ومنذا الذي يعرف ذلك ؟
الملكة إلزابث : يا علام الغيوب ، أي عالم هذا ؟
بكنجهام : أيبداو على ما على الآخرين من شحوب ، أي
لورد دورست ؟

دورست

: أجل يا سيدى ، وما من أحد هنا

٨٥

إلا غاض الدم من وجنتيه .
الملك إدورد : أو مات كلارنس ؟ لقد غيرت أمرى فيه .

جلوستر : ولكن المسكين مات بأمرك الأول ،

الذى حمله رسول مجنح ، كمركورى ،

أما التغير فحمله كسيح كسول ،

لم يصل إلا ليشهد دفنه .

٩٠

وقد قضى الله أن أناسا أقل نبلا وولاء ،

أقرب إلى سفك الدماء ، لا أقرب في الدم

يستحقون ما لا يقل سوءا عن مصير كلارنس ،

ومع ذلك بقوا بمنأى عن الريبة .

(يدخل دربي)

٩٥ دربي : مولاي ! إني أرجو منك صنيعاً لقاء خدمائي .

الملك إدورد : أرجو أن تدعني لنفسي فإن روحي يفيض بالحزن .

دربي : لن أنهض حتى تستمع إليّ .

الملك : إذن فانطق في الحال بما تريد .

دربي : حياة خادمي يا مولاي ،

إذ قتل اليوم رجلا شكسا

١٠٠

دخل ضمن أتباع دوق نورفوك أخيرا .

الملك إدورد : أيقضى لساني على أخي بالموت ؟

ثم يعفو هذا اللسان نفسه عن عبد ؟

إن أخي لم يقتل أحدا . كانت جريمته مجرد فكرة ،

١٠٥

ومع ذلك كان الموت الزؤام عقوبته .
 من منكم يشفع له عندي ؟
 من منكم ركع عند قدمي وأنا في سورة غضبي ،
 وسألني أن أستمع إلى صوت العقل ؟
 من منكم تحدث عن الأخوة ؟ من منكم تحدث عن الحب ؟
 من منكم قال لي إن المسكين قد خذل وريك
 العظيم وحارب من أبجلى ؟
 من منكم ذكرني بما حدث في معركة « توكسبرى »
 حين طرحني أكسفورد فأنقذني .

١١٠

وقال لي : « فلتعش أيها الأخ العزيز ولتكن ملكا ! »
 من منكم ذكرني كيف دترني بملابسه ،
 حين رقد كلانا في ساحة المعركة ، ونحن على
 وشك الهلاك من الصقيع ،
 وعرض نفسه — وهو عار إلا من أيسر الكساء —
 لبرد الليل القارس ؟

١١٥

لقد نزع غضبي الوحشي الآثم
 كل ذلك من ذاكرتي .

١٢٠

ولم أجد منكم واحداً بلغ من النخوة ما يذكرني به .
 أما حين يرتكب مخمور ، من خدمكم أو أتباعكم ،
 جريمة قتل يلطخ بها ،

صورة مخلصنا العزيز الغالية ؛
 فإنكم تركعون في الحال طالبين العفو ، العفو !
 وعلى " أن أمنحكم هذا العفو ولو خالفت بذلك العدالة .
 أما من أجل أنخي المسكين فما يتكلم أحد .
 وما كلمت نفسي أنا ، أنا ذلكم الشرير ،
 من أجله ! إن أعزكم كبرياء
 كان مدينا له في حياته ؛

١٢٥

ومع ذلك فما من أحد منكم تشفع له إبقاءً على حياته .
 رباه ! أخشى أن تنالني عدالتك ،
 بل أن تنالكم وتنال عشيرتي وعشيرتكم جزاء هذه الفعلة !
 إلى " ياهيستنجز وأعني على بلوغ غرقي . واأسفاه
 أي : كلارنس المسكين !

٣٠

: تلك ثمرة الاندفاع . ألم تلاحظوا
 كيف بدا الشعوب على أقرباء الملكة الآثمين
 حين سمعوا بموت كلارنس ؟
 طالما حرضوا الملك على ذلك ،
 ولكن الله سيثأر له . أما الآن فهيا بنا أيها السادة
 لنسرى بصحبتنا عن إدورد
 : سنذهب مع فخامتكم (يتبعونه)

جلوس

١٣٥

١٤١ بكنجهام

الفصل الثانى

المنظر الثانى

(القصر)

(تدخل دوقه يورك المجوز مع طفلى كلارنس)

- الصبي : أنبئنى يا جدتى الكريمة ، هل مات أبونا ؟
 الدوقة : لا يا ولدى
 الصبية : لماذا إذن تستسلمين للبكاء كثيرا ، وتدقين صدرك
 وتصيحين : « أى كلارنس يا ولدى الشقى ! »
 هـ الصبي : ولماذا تنظرين إلينا وتهزين رأسك ،
 وتنعتيننا باليتيمين المسكينين المنبوذين ،
 إن كان والدنا الكريم لم يمت ؟
 الدوقة : يا حفيدى الجميلين ، إنكما تسيئان فهمى ،
 إنى أبكى لمرض الملك
 الذى أكره أن أفقده ، ولا أبكى لموت أبيكما :
 فالحزن على من ضاع حزن ضائع .
 الصبي : إذن فأنت يا جدتى تقرين بأنه قد مات !

إن عمى الملك ، هو المسئول عن موته .
وسيثأر الله له ،

وسأضرع إليه كل يوم في صلواتي أن يفعل .
: وسأضرع إليه أنا أيضا .

١٥

الصية

الدقة

: اهدأ يا طفلي ، اهدأ إن الملك يحبكما حقاً
أيها البريثان الطيبان الساذجان ، إنكما لا تستطيعان
أن تتوهما من المسئول عن موت أبيكما .

: بل نستطيع ، يا جدتي ، فقد أخبرني عمي العزيز ،
جلوستر ،

الصي

٢٠

أن الملك اختلق له ، بتحريض من الملكة ،
ذنوباً لكي يلتق به في السجن .

وقد بكى عمي حين أخبرني بهذا ،
وأخذني بين ذراعيه ، وقبل خدي في حنو ،
وسألني أن أعتد عليه ، وأن أعده أبا لي ،
وقال إنه سيحبني كما لو كنت ولده .

٢٥

الدقة

: واحسرتا كيف يتخذ الخداع هذا المظهر الرحيم ،
ويستتر الحقد الدنس تحت قناع من الفضل !
أجل إنه ولدي ، وذلك هو مبعث حزني ،
ولكنه لم يرضع هذا الخداع من ثديي .

٣٠

الصبي : أتظنين يا جدتي أن ذلك كان خداعاً من عمي ؟

الدوقة : نعم يا ولدي

الصبي : لا أستطيع أن أصدق . اسمعي ! ما هذا الصوت ؟

(تدخل الملكة وشعرها مرسل إلى أذنيها وخلفها ويفرز ودورست)

الملكة : أواه ! منذ الذي يستطيع الآن أن يقفني عن البكاء

والعويل وعن أن أندب حظي وأسوم نفسي العذاب ؟ ٣٥

سأجعل اليأس القاتل حليفي بما فيه من هلاك روحي ،
وأناصب نفسي العدا .

الدوقة : ما سر هذا المنظر الجزع الصارخ ؟

الملكة إلزابيث : أريد أن آتي أمرا فظيحا .

لقد مات مولاي إدورد ملكنا وزوجي وولدك . ٤٠

كيف تنمو الأغصان بعد أن ذوت الجذور ؟

وكيف لا تذبل الأوراق وقد جفها ماء الحياة ؟

إن تعش تقض العمر في البكاء : أو تمت .

فليسرع إليها الموت

لتلحق بالملك أرواحنا الخفاقة الأجنحة .

أو فلنتبعه كالرعايا المخلصين ٤٥

إلى الليل الأبدى . مملكته الجديدة .

الدوقة : أواه ! إن لي في حزنك نصيباً كبيراً

بقدر ما كان لى فى زوجك الجليل من نصيب .

لقد بكيت من قبل موت زوج كريم ،

ثم عشت بالنظر إليه فى وجوه أبنائه :

والآن قد حطم الموت الحقوق

مرأتين كانتا تعكسان صورته النبيلة ،

ولم يبق لسلواى إلا مرآة واحدة خادعة ،

أنظر فيها بأسى إلى ما أنجبت من عار .

إنك أرملة ، ولكنك مع ذلك أم

وما زال لك فى أولادك عزاء .

أما أنا فقد اختطف الموت زوجى من ذراعى ،

وانترع من يدى الواهنتين عمادين كالارنس وإدورد .

أواه— إنى لأجدر ، إذ كان مصابك أقل من مصابى ،

بأن أجار بالعويل أكثر منك ،

وبان يغطى نواحى على نواحك .

إيه يا عمى ! إنك لم تبك لموت أبينا ،

فكيف نستطيع أن نواسيك بدموع الأقارب المماثلة .

: إنك لم تحزنى لتيتمنا بموت أبينا ،

وكذلك لن نبكى لآلامك إذا أصبحت أرملة !

الملكة الزابت : لا تساعدانى بالنواح ،

القصبة

فلست عقيماً لا أستطيع أن أنخلق أسبابه .
 فلتصب كل الينابيع مياهها في عيني ،
 وليمدني القمر ، المائي ، بمدد من عنده ،
 حتى أغرق بالدموع العالم بأسره .

٧٠

- واحسرتاه على زوجي — على إدورد مولاي العزيز .
 : الصبيان واحسرتاه على أبينا — على عزيزنا ، لورد كلارنس .
 : الدوقة واحسرتاه على كليهما — كلاهما ولدي ، إدورد وكلارنس !
 : الملكة إلزابث : أي نصير كان لي غير إدورد ؟ وها هو ذا قد مات .
 : الصبيان ٧٥ : أي نصير كان لنا غير كلارنس — وها هو ذا قد مات .
 : الدوقة : أي نصير كان لي غيرهما وها هما ذان قد ماتا . .
 : الملكة إلزابث : هل أصيبت أرملة بمثل مصابي الجلل ؟
 : الصبيان : هل أصيب أيتام بمثل مصابنا الجلل ؟
 : الدوقة : وهل أصيبت أم بمثل مصابي الجلل ؟
 : ٨٠ واحسرتاه ، إني أم لأحزان هؤلاء الناديين جميعاً .
 إن لكل منهم أحزانه الخاصة أما أنا فأحس كل أحزانهم .
 إنها تبكي لإدورد وكذلك أبكي ؛
 وأبكي أنا لكلارنس أما هي فلا تبكي ؛
 ويبكي طفلا كلارنس هذان ، وكذلك أبكي ؛
 وأبكي أنا لإدورد أما هما فلا يبكيان . ٨٥

واحسرتاه ، فليصب ثلاثكم دموعكم على
فإني حاضنة أساكم ،
وبنواحي ساهدهده .

دورست (إلى الملكة إلزابث) : خفني عنك يا أماه ! فإن الله يسوءه
كثيراً أن تستقبلي قضاءه بمثل هذا الجحود .
إن لمن الجحود في أمور الحياة الدنيا اليومية ،
أن يجد المرء غضاضة في أن يؤدي ماعليه من دين ،
أعارته لإياه يد كريمة حانية .

٩٠

فما بالك بنكران دين الله

حين يطلب الدين الملكي الذي أعارك لإياه .

٩٥

ريفرز : مولاتي ، فكري — كما ينبغي أن تفكر الأم الحازمة —
في ولدك الأمير الصغير . أرسلني في الحال إليه
ليلبس التاج ، ففيه يكون عزاءك .
ولتدفعني في قبر إدورد أساك اليائس .

ولتزرعي سعادتك في عرشه الباقي .

١٠٠

(يدخل جلوستر ويكنجهام ودربي وهيستنجر وراتكلف)

جلوستر : عزاء أختاه . إن علينا جميعاً أن نبكي

أقول نجمنا المتألق ،

ولكن المصائب لا تشفى بالبكاء .

أى أمى ، معذرة فإنى لم أرك .

(يركع)

١٠٥

إنى أركع فى خضوع وأضرع إليك
أن تباركينى

الدوقة : فليباركك الله ، وليلق فى نفسك الرحمة والمحبة

والإحسان والطاعة والشعور الصادق بالواجب .

جلوستر : آمين ! (بينه وبين نفسه) وليكتب الله لى عمرأمديداً صالحاً .

١١٠ تلك خاتمة دعوة الأم ، فليت شعرى لماذا أغفلتها جلالتهـا ؟

بكنجهام : أيها الأمراء الذين غام عليهم الحزن ،

أيها النبلاء الذين استبد بقلوبهم الأسى ،

أنتم يا من تحملون جميعاً عبء ذلك المصاب المشترك ،

لنمنح كل منكم العزاء لأخيه بما يبذل له من حب .

١١٥ فلئن كنا قد أنفقنا حصاد هذا الملك

فلنجنين حصاد ولده .

إن قلوبكم التى صدعها الحقد والمرارة

قد جبرت والتأم شملها منذ أمد قصير .

فلتترفقوا بها حتى تظل مصونة مجبورة الصدع عزيزة ؛

ومن الخير فيما أرى أن نرسل الآن حاشية قليلة

العدد إلى « لدلو » (١)

١٢٠

لتحضر الأمير الصغير إلى لندن
كى يتوج ملكا علينا .

١٢٥ بكنجهام : ولم تكون حاشية قليلة العدد ، ياسيدى اللورد بكنجهام ؟
: حتى لا تنكأ جراح الحقد التى لم تكد تلتئم ؛
إذا نحن أحضرناه فى حشد كبير يا سيدى اللورد .
وذلك شىء ونخيم العاقبة والأمور لم تستقر بعد
فى يد تتولى مقاليدها ؛

فكل جواد يمضى ، مُرْخى العنان ، على هواه ،
وكل يؤمل ما يشتهى .

١٣٠ وفى رأي أنه ينبغى أن ندفع ما نتوقع من شر ،
كما ندفع شرا قائما بالفعل .

جلوستر : أرجو أن يكون الملك قد أصلح ما بيننا جميعا .
إنى لا زلت ثابتا على ما أعطيت ، من عهد .

ريفرز : وكذلك أنا ، وكذلك الآخرون فيما أعتقد ؛

على أن ذلك العهد لا يزال غضاً ، ١٣٥

لا ينبغى أن يُعرض لما يمكن أن يُثير

ذهابنا فى جماعة كبيرة من خطر ؛

لهذا أوافق النبيل بكنجهام

على أنه من الخير أن يُحضر الأمير نفر قليل

١٤٠ هيستنجز : وهذا هو رأي أنا أيضا .
 جلوسر : فليكن ذلك ، ولنقض الآن
 لنر من سيندهبون من فورهم إلى « لدلو » .
 سيدتي ، وأنت يا أمي ، هل لكما أن تذهبا
 لتبديا رأيا في هذا الأمر .

١٤٥ الملكة إلزابث : من كل قلبينا
 والدوقة

(يخرج الجميع ما عدا بكنجهام وجلوسر)

بكنجهام : مهها يكن من أمر الذاهبين إلى الأمير، ياسيدي اللورد،
 فإني بحق الله أرجو ألا نقعد عن الذهاب معهم ؛
 وبطريقة ما سأدبر الأمر كي نبعد أقارب الملكة
 الأقوياء عن الأمير ،

١٥٠ تمهيدا لما اتفقنا عليه أخيرا .

جلوسر : أي صنو نفسي . وناصحي الأمين ،
 أي كاهني ونيئي ! يابن عمي العزيز !
 سأعمل كالطفل بتوجيهك ،
 فهلم إذن إلى « لدلو » ، فلن نقعد عن الذهاب معهم
 (يخرجان)

الفصل الثاني

المنظر الثالث

لندن — شارع

(يدخل مواطنان ويلتقيان)

المواطن الأول : مرحباً أيها الجار ، إلى أين تمشي بهذه السرعة ؟

المواطن الثاني : أؤكد لك أنني أنا نفسي لا أكاد أعرف !

هل سمعت ما ذاع من نبأ ؟

المواطن الأول : أجل إن الملك قد مات .

المواطن الثاني : إنه لنبأ سيء وحق العذراء ، وإن الخبر الطيب
لشيء نادر ؛

وإني لأخشى ، وأخشى أن نكون مقدمين على

فترة قلاقل .

(يدخل مواطن ثالث)

المواطن الثالث : أي جاريّ — هياً الله لكما الخير !

المواطن الأول : وحل صباحك طيباً ، يا سيدي .

المواطن الثالث : أو صبح النبأ عن موت الملك إدورد ؟

المواطن الثاني : أجل يا سيدي ، إنه صحيح . كان الله في عوننا الآن .

المواطن الثالث : إذن فتوقعا أيها السيدان فترة قلاقل .

المواطن الأول : لا — لا ، فسيحكم ابنه بفضل الله . ١٠

المواطن الثالث : الويل لدولة يحكمها طفل !

المواطن الثاني : إن لنا أملاً في حكم صالح على يديه .

فلا شك أن القيمين عليه

سيحسنون الحكم إلى أن يبلغ الرشد ؛

وسيحسنه هو حين يبلغ تلك السن .

١٥

المواطن الأول : هكذا كانت حال الدولة

حين توج هنرى السادس بباريس وسنه تسعة أشهر .

المواطن الثالث : أهكذا كانت حال الدولة ؟ لا ، لا يا صديقي الكريمين ،

علم الله ! كانت هذه البلاد

معروفة حينئذ بما فيها من ساسة أجلاء كثيرين ،
وكان للملك أعمام خيرون يحمونه .

٢٠

المواطن الأول : عجباً وكذلك لهذا الملك أعمام وأخوال .

المواطن الثالث : كان خيراً لو كانوا جميعاً أعماما

أو لو لم يكن له أعمام قط ،

فإن التنافس على التقرب إليه الذى يحيق بنا الآن

٢٥

سيدنى منا جميعاً المصائب إن لم يحمنا الله منها .

ألا ما أخطر الدوق جلوستر !

ثم إن أبناء الملكة وإخوتها صلفون متكبرون .

ليتهم حكموا بدل أن يكونوا هم الحاكين ،

إذن لسعدت هذه البلاد المنكوبة كما كانت من قبل .

٣٠

المواطن الأول : مهلا . مهلا ، إننا نتوقع أسوأ ما يمكن أن يكون ،
وسينتهى كل شيء إلى خير .

المواطن الثالث : حين تلوح السحب يلبس الحصفاء معاطفهم ،
وحين تسقط الأوراق القوية فإن ذلك نذيرا بالشتاء .
وحين تغرب الشمس فنذا الذي لا يرتقب الليل ؟
إن الناس يتوقعون القحط بعد العواصف المفاجئة .
وقد ينتهى كل شيء إلى خير .
على أنه إذا أراد الله ذلك ، فسيكون أكثر مما نستحق ،
ومما أتوقع .

٣٥

المواطن الثاني : حقا إن الخوف يملأ نفوس الناس ،
حتى أنك لا تكاد تتحدث إلى إنسان
لا يثقله الهم والخوف .

٤٠

المواطن الثالث : هكذا تكون الحال دائما قبل كل تغير كبير ،
فللناس غريزة ملهمة تدفع عقولهم

إلى توقع المستقبل من الأخطار ،
كما نشاهد ثورة الأمواج قبل هبوب عاصفة هوجاء .
ولكن ، لندع الأمر كله لله . إلى أين ؟
المواطن الثاني : لقد طابنا إلى المحكمة

٤٥

المواطن الثالث : وكذلك طلبت أنا — سأصحبكما

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

لندن. القصر

(يدخل رئيس أساقفة يورك ، ودوق يورك الصغير ، والملكة إليزابيث ، ودوقة يورك)

- رئيس الأساقفة : سمعت أنهم باتوا البارحة عند نورثامبتون^(١)
 ولاشك أنهم يبيتون الليلة فى « ستونى ستراتفورد »^(٢)
 وسيصلون إلى هنا غدا أو بعد غد .
- الدوقة : إن قلبى يفيض شوقا لرؤية الأمير .
 عساه أن يكون قد شب منذ رأيتة آخر مرة .
- الملكة إليزابيث : ولكنى سمعت أنه لم يكبر ،
 ويقواون إن ولدى يورك قد أوشك أن يكون فى مثل طوله .
- يورك : نعم يا أمى ، وإن كان ذلك لا يسرنى .
- الدوقة : ولم لا يا حفيدى الصغير ؟ أن من الخير أن ينمو المرء
- ١٠ يورك : ذات مساء يا جدتى وقد جلسنا للعشاء ،
 تحدث نعالى ريفرز عن نموى بأسرع مما نما أخى .

(١) نورثامبتون Northampton

(٢) ستونى ستراتفورد Stony-Stratford

فقال عمى جلوستر : « نعم ، إن الأعشاب المفيدة
تكون صغيرة رقيقة

أما الحشائش الحبيثة فتنمو بسرعة فائقة »
ومنذ ذلك الحين وأنا لا أشتى أن أنمو بهذه السرعة
لأن الأزهار الجميلة بطيئة النمو ، على حين تربو
الحشائش على عجل .

١٥

الدوقة

: تالله إن المثل لم يصدق

على من لم يرضَ عن نموك السريع .
فقد كان أضال ما يكون وهو صغير .
وقد أبطأ في النمو وعلى مهل ،
واو صحت القاعدة لكان رقيقاً .

٢٠

رئيس الأساقفة : ولا ريب أنه كذلك ، يا مولاتي الكريمة .
الدوقة : أرجو أن يكون كذلك ، ولكن من حق الأمهات
أن يجدن بعض الريب .

يورك : وأيم الحق لو فطنت إلى ذلك ،

لسخرت من نمو عمى الدوق
بأشد مما سخر من نموى .

٢٥

الدوقة : وكيف يا يوركي العزيز ؟ بالله أسمعني .

يورك : يقولون إن عمى كان سريع النماء

حتى لقد كان يستطيع أن ينفذ أسنانه في كسرة
جافة بعد ساعتين من مولده،
أما أنا فلم تنم لي سن واحدة قبل أن أبلغ من العمر
عامين كاملين،
وقد كان ذلك حريا بأن يكون سخرية لاذعة
يا جدتي الدوقة .

٣٠

- الدوقة : قل لي من أنبأك بهذا يا يوركي العزيز ؟
يورك : حاضنته يا جدتي .
الدوقة : حاضنته ! كيف ؟ لقد ماتت قبل أن تولد
يورك : إن لم تكن هي فلا أستطيع أن أقول من أنبأني (١)
٣٥ الملكة إلزابث : يا لك من ولد ثرثار ! اذهب فإنك في غاية المكر .
رئيس الأساقفة : مولاتي الجليلة لا تغضبني على الطفل .
الملكة إلزابث : إن للأباريق آذانا (يدخل رسول)
رئيس الأساقفة : ها قد أقبل رسول — ما وراءك من أنباء ؟
الرسول : أنباء يحزنني أن أقولها يا مولاي .
٤٠ الملكة إلزابث : كيف حال الأمير ؟
الرسول : بخير وعافية يا مولاتي .
الدوقة : فما أنباؤك تلك إذن ؟

(١) إشارة إلى أن أمه هي التي أنبأته .

الرسول : لقد حُمل اللورد ريفرز واللورد جبراي إلى «بومفرت» (١)
 هما وسير توماس فوجان ، حيث ألقى بهم في السجن .

الدوقة : ومن أمر بهذا ؟

الرسول : الدوقان العظيمان جلوستر وبكنجهام .

رئيس الأساقفة : بأي ذنب ؟

الرسول : لقد ذكرت كل ما أعرف .

ولست أدري لم سجن هؤلاء النبلاء ،

ولا بأي ذنب يا سيدي الكريم .

الملكة إليزابيث : لهف نفسي ، أني لألمح خراب أسرتنا ؛

فلقد أمسك النمر بالطيبي الوديع ،

وبدأ الطغيان الصلف يمد سلطانه

على العرش البريء الضعيف .

مرحبا أيها الدمار ، أيتها الدماء ، أيتها المذابح !

إنني لأرى نهاية كل شيء كما لو كنت أراها في

رسم مخطوط .

الدوقة : أيتها الأيام اللعينة المليئة بالشحناء الصاخبة ،

كم قد رأت عيناى منك !

لقد فقد زوجي حياته في سبيل التاج ،

(١) بومفرت Pomfret

وتقلبت الأحوال كثيرا بأبنائي بين خير وشر ، وتقلبت
أنا كذلك بين السعادة بنصرهم ، والبكاء لخسارتهم ؛
فلما استقر لهم الأمر وقضوا على الخلافات الداخلية
إذاهم يحارب بعضهم بعضا . فالأخ عدو أخيه
والدم عدو الدم والنفس عدو النفس !
إيه أيها الأهواء المضطربة المجنونة .
أنهى حتمك اللعين !

٦٠

أو أنزلى الموت حتى لا تقع عيناي على الموت من بعد !
: تعال — تعال يا ولدي ، فسنلجأ للاحماء بحرمة الكنيسة .
إلى اللقاء يا سيدتي

٦٥

الملكة لزباث

: مهلا ، فسأذهب معكما .
: ليس ثمة ما يدعوك إلى هذا .
: اذهبي يا مولاتي الكريمة واحملي معك ذخائرك وأموالك .

الدوقة

الملكة لزباث

رئيس الأسففة

٧٠

وسأسلم إليك الخاتم^(١) الذي أحفظ به .
وليكافئني الله بقدر ما أرفعك وأرعى ذوى قرباك .
هلموا ، فسأمضى بكم إلى حرمة الكنيسة .
(يخرجون)

(١) خاتم الدولة الذي كان يحفظه لأنه كبير القضاة .

الفصل الثالث

المنظر الأول

لندن . شارع

(تنفخ الأبواق - يدخل الأمير الصغير ودوق جلوستر وبكنجهام والكديتال بوشيه وكاتبه وآخرون) .

بكنجهام : مرحبا بك في لندن عاصمتك ومثواك أيها الأمير العزيز؛

جلوستر : مرحبا بك يا ابن أخي ويا مدار أفكارى
لقد علاك الطريق الشاق بمسحة من الحزن .

الأمير : لا يا عماء - ولكن ما لقيناها من متاعب
جعل الطريق مملا متعبا ثقيلا .

وددت لو كان لى هنا أحوال أكثر ليرحبوا بى ،

جلوستر : أيها الأمير العزيز - إن براءة سنك الصغيرة التى لم
تشبه شائبة

لم تخض بعد فيما يكتنف الحياة من خداع ،
فأنت لا تستطيع أن تحكم على المرء إلا بمظهره .

والمظهر - علم الله قليلا ما يتفق مع طوية القلب ،
بل إنه قد لا يتفق معها أبداً .

١٠

إن هؤلاء الأفعال الذين تفتقد لهم كانوا خطرا عليك؟
وقد استمعت إلى أقوالهم المعسولة ،

ولكنك لم تطلع على ما في قلوبهم من سم .

حماك الله منهم ومن أمثالهم من الأصدقاء الزائفين !

١٥

الأمير : حماي الله من الأصدقاء الزائفين ! ولكنهم لم يكونوا
كذلك

جلوستر : مولاي - لقد جاء عمدة لندن لتحيتك .

(يدخل عمدة لندن وحاشيته)

: وهب الله سموك الصحة والحياة السعيدة .

العمدة

: شكرا أيها اللورد العزيز . وشكرا لكم جميعا .

الأمير

لقد توقعت أن تخرج أمي وأخي يورك للقائنا في

الطريق

٢٠

قبل أن نصل بوقت طويل .

عار على هيستنجز الكسول

إذا لم يأت لينبئنا أيحضران !

(يدخل لورد هيستنجز)

بكنجهام : لقد جاء اللورد في الوقت المناسب ، يتصبب عرقا ،

: مرحبا يا سيدى اللورد — هل ستحضر أمنا ؟

٢٥ الأمير

: لقد لجأت أمكم الملكة وأخوكم يورك

هيستنجز

إلى حمى الكنيسة لسبب يعلمه الله لا أنا .

وكان الأمير الرقيق يود

لو جاء معى ليلقى سموكم ،

ولكن أمه أجبرته على البقاء .

٣٠

: يا لامار ! يا له من سلوك معوج نزق لا يليق بها .

بكنجهام

سيدى الكردينال — هل لقد استك أن تقنع الملكة

بأن ترسل دوق يورك

فى الحال إلى أخيه الأمير ؟

فإن أبت فاذهب معه يا لورد هيستنجز

٣٥

وانتزعه بالقوة من بين ذراعها الغيورتين .

: سيدى اللورد بكنجهام ، إذا استطاع بيانى

الكردينال

الضعيف أن يظفر بالدوق يورك من أمه ،

فستراه هنا بعد وقت قصير ،

أما إذا استعصت على الرجاء الرقيق

فإن الله فى سماه لا يرضى

٤٠

أن نعتدى على حرمة ذلك الحمى المقدس ! .

ولن أقترف ذلك الإثم الكبير

- ولو ملكت كل هذه الأرض .
 . إنك عنيد عنادا لا معنى له يا سيدى .
 مسرف فى التزمت والمحافظة .
 ولو أنك نظرت إلى الأمر بروح هذا العصر السمح ،
 لما وجدت فى إخراجہ اعتداء على حمى الكنيسة .
 لقد كان هذا الحمى دائما من حق
 أولئك الذين استحقوه بما أدوه من فعال :
 أو من أوتوا الفطنة ليدعوا ذلك الحق .
 والأمير لم يدع ذلك الحق ، ولم يأت ما يجعله يستحقه ؛
 لذلك فهو فى رأى لا يملك هذا الحق ؛
 وإذن فلن تعتدى على حق ولا حرمة
 إذا أخرجته من ذلك الحمى الذى لا حق له فيه .
 لقد سمعت كثيرا عن رجال بلأوا إلى حمى الكنيسة ،
 ولكنى لم أسمع قبل اليوم بأطفال فعلوا ذلك .
 : لقد حولتنى عن رأى هذه المرة يا سيدى .
 هيا يا لورد هيستنجز ، هلا ذهبت معى ؟
 : سأصحبك يا سيدى الورد .
 : عجلا قدر طاقتكما أيها السيدان الكريمان .
 (يخرج الكردينال وهيستنجز)

بكنجهام

: ٥

٥٠

٥٥

الكردينال

هيستنجز

الأمير

٦٠

أى عمى جلوستر ، إذا جاء أخونا
فأين نقيم حتى يحين موعد تتويجنا .

جلوستر

ـ حيث تحبون سموكم ،
ولكن إذا كان لى أن أقول رأى
فلانى أرى أن تستريح سموكم يوما أو يومين فى البرج ،

٦٥

وبعدها تنتقل إلى خير مكان
يلائكم صحتك وراحتك .

الأمير

: إنى أكره البرج من بين الأماكن جميعا .
أصحیح يا سيدى اللورد أن يوليوس قبصر هو الذى
بناه ؟

٧٠ بكنجهام

: أجل يا مولای الکریم . لقد كان أول من بناه
ثم أعادت بناءه الأجيال المتعاقبة .
: أتلك حقيقة مسجلة :

الأمير

أم تناقلها الناس من جيل إلى جيل ؟

بكنجهام

: إنها مسجلة يا مولای الکریم .

٧٥ الأمير

: ومع ذلك فيخيل إلى أنها لو لم تسجل ،

فإن الحقيقة تظل حية تنتقل من جيل إلى جيل ،
يروىها الخلف جميعا حتى يوم القيامة .

(بينه وبين نفسه) : يقال في المثل إن الصغار والنوابغ لا يعمر ون .

جلوستر

: ماذا تقول يا عمي ؟

٨٠ الأمير

: أقول إن المحجد يعمر وإن لم يسجل في كتاب

جلوستر

(بينه وبين نفسه) وهكذا أعبر—مثل شخصية^(١) الظلم

المعهودة — عن معنيين في كلمة واحدة .

: لقد كان يوليوس قيصر رجلا مجيدا .

الأمير

بما زادته بسالته على حدة عقله ،

٨٥

فصمم عقله على تخليد بسالته :

ولن يستطيع الموت أن يقهر ذلك الفاتح ،

فإنه ما زال يعيش في مجده وإن لم يعد يعيش في الحياة .

أى ابن العم بكنجهام !

: ماذا ، يا سيدى الكريم ؟

٩٠ بكنجهام

: إن عشت حتى أبلغ مبلغ الرجال

الأمير

فسأستعيد حقنا القديم في فرنسا

أو أموت جنديا كما عشت ملكا .

(بينه وبين نفسه) : إن الصيف القصير يسبقه في

جلوستر

العادة ربيع مبكر

(يعود هيستنجز والكردينال وفي صحبتهما يورك)

(١) كانت الرذائل في المسرحيات القديمة تتجسد في صورة أشخاص ، وجلوستر

يشير هنا إلى قوله « إن المحجد يعمر » ويقصد به في الحقيقة مجده هو .

- ٩٥ بكنجهام : ها قد جاء دوق يورك ولم تطل غيبته .
- الأمير : أى رتشارد دوق يورك ! كيف حال أخينا الحبيب ؟
- يورك : بعخير أيها السيد المهيب . كذا يجب أن أدعوك الآن
- الأمير : أجل يا أخى ، وإنه ليحزننا كما يحزنك
- أن نذكر قريبا موت من كان جديرا بهذا اللقب .
- ١٠٠ : لقد فقد اللقب بموته كثيرا من جلاله .
- جلوستر : كيف حال ابن أخى دوق يورك النبيل ؟
- يورك : أشكرك يا عمى العطوف .
- مولاي لقد قلت إن الحشائش التى لا غناء فيها سريعة
النماء ؟
- وها هو ذا أخى الأمير قد سبقنى فى النمو إلى حد بعيد ؟
- جلوستر : هذا حق يا سيدى
- ١٠٥ يورك : : أهو إذن لا غناء فيه ؟
- جلوستر : ما ينبغي أن أقول هذا يا ابن أخى ، أيها العزيز ،
- يورك : إذن فإن سلطانه عليك يفوق سلطانى .
- جلوستر : إنه مليكى ويستطيع أن يأمرنى ،
- أما أنت فإنى أشد أزرك كما ينبغي لذى القربى .
- ١١٠ يورك : أرحو يا عم أن تعطينى هذا الخنجر .
- جلوستر : نحنجرى يا ابن أخى الصغير ! بكل سرور

- الأمير : أو تستجدي يا أخي ؟
- يورك : من عمي الكريم - وأعرف أنه سيعطيني إياه ،
فليس هذا الخنجر إلا لعبة لا يُحزن المرء أن يهبها
- ١١٥ جلوستر : سأمنح ابن أخي هدية أعظم من هذا .
- يورك : هدية أعظم من خنجرك ! إذن فأعطني سيفك معه
- جلوستر : لو كان خفيفا كما ينبغي لأعطيتك إياه يا ابن أخي .
- يورك : قد عرفت إذن أنك لا تحب أن تهب إلا الخفيف .
من الهدايا .
- وسترد السائل إذا سألك شيئا ثقيلا .
- ١٢٠ جلوستر : إنه أثقل من أن تحمله سموك .
- يورك : إن أقيم له وزنا ولو كان أثقل من هذا .
- جلوستر : ماذا! أتريد أن تأخذ سلاحى أيها الأمير الصغير ؟
- يورك : أجل لكى أشكرك شكرا يشبه تسميتك إياي .
- جلوستر : كيف ؟
- ١٢٥ يورك : صغيرا .
- الأمير : إن لورد يورك لا يزال يبدى الغضب فى حديثه يا عم ،
ولا شك أنك ستحتمل ذلك منه .
- يورك : تعنى يحملنى لا يحتملنى .
- إن أخى يسخر منك ومنى معاً يا عم ،

فإنه يظن - لأنى صغير كالقرد -
أنك تستطيع أن تحملنى على كتفيك^(١) .

١٣٠

بكنجهام : يا له من متحدث لبق سريع البديهة !
فقد عاب نفسه على نحو طريف بارع ،
لتحتمل له سخريته من عمه .

إنه لشيء رائع أن يكون فى مثل تلك السن
الصغيرة وفيه هذا الدهاء .

١٣٥

جلوستر : سيدى الأمير ، هلا تفضلت بالذهاب ؟

بينما أذهب أنا

وابن العم الكريم بكنجهام إلى أمكما
لأسأله أن تلقاك فى البرج وترحب بك .

ماذا ! أتذهب إلى البرج يا مولاي ؟ : ١٤٠ يورك

: تلك رغبة سيدى اللورد الوصى . الأمير

: لن يهدأ لى نوم فى البرج . يورك

: ولم لا ؟ ماذا يخيفك منه ؟ جلوستر

: ويحى ! شبح عمى كلارنس الغضوب ، يورك

فقد أنبأتنى جدتى أنه قتل هناك . ١٤٥

: لست أخشى الموت من أعمامى . الأمير

(١) فى هذا سخرية من جلوستر إذا كان أحذب (كما صوره شيكسبير)

جلوستر

: ولا الأحياء فيما أرجو .

الأمير

: أرجو ألا أضطر إلى ذلك إن قدرت لهم الحياة .

أما الآن فهيا بنا ياسيدى اللورد فساذهب إلى البرج
والحزن يثقل قلبي لذكراهم .

١٥٠

(صوت يوق - يصحب هستنجز والكردينال الأميرين ويتركان
جلوستر وبكنجهام وكاتسبي) .

بكنجهام

: ألا تظن يا سيدى اللورد

أن يورك ذلك الثرثار الصغير قد دفعته أمه الأريية
إلى السخرية بك، والنيل منك على هذا النحو الزرى ؟

جلوستر

: بلاريب ، بلاريب .

١٥٥

آه ! إنه لصبي خطير، جرىء، حاضر البديهة ،
بارع مقدم قدير . إنه كأمة من قمة رأسه إلى أخمص
قدمه .

بكنجهام

: دعك الآن منهما ، هلم يا كاتسبي

لقد أقسمت يمينا مغالطة أن تنفذ ما اعتزمناه
وأن تحتفظ به سرا .

١٦٠

ولقد علمت ما دار حوله حديثنا فى الطريق .
فإذا ترى أليس من العسير
أن نستطيع أن نقنع اللورد وليام هيستنجز

- بما نراه من تنصيب هذا الدوق النبيل
ملكاً على عرش تلك الجزيرة المجيدة ؟
- ١٦٥ كاتسي : إنه يجب الأمير — من أجل أبيه — حبا جما ،
حتى ليستحيل إقناعه بأية وسيلة لينقلب ضده .
- بكنجهام : وما رأيك في ستانلي إذن ؟ ماذا يكون موقفه ؟
- كاتسي : سيفعل مثلما يفعل كاتسي تماماً .
- بكنجهام : إذن فليس أماننا إلا هذا .
- ١٧٠ تذهب يا كاتسي الكريم وتستطلع في لباقة
رأى اللورد هيستنجز فيما اعتزمناه ،
وتدعوه غدا إلى البرج ليحضر المجلس
الذي سينظر في أمر التتويج .
فإن رأيت منه ميلا إلينا
فشجعه وبين له حججنا .
- ١٧٥ أما إن رفض رفضاً ثقيلاً كالرصاص ، باردا كالثلج ،
فكن مثله واقطع حديثك معه وأخبرنا بنيته .
فسنعقد غدا مجلسين منفصلين ^(١)
وستشغل بهما انشغالا كبيراً
- ١٨٠ جلوتر : بلغ تحياتي إلى اللورد وليام ، وقل له يا كاتسي ،

(١) مجلس خاص بخلاف المجلس العام .

إن رؤوس تلك الجماعة من خصومه القدماء
ذوى الخطر لتقطع غدا في قلعة بومفرت .
وهنيء صديقي بذلك النبأ السار ،

واحمل كذلك قبلة حانية منى إلى السيدة «شور»

١٨٥ بكنجهام : اذهب يا كاتسبي العزيز وأنفذ هذا الأمر في حكمة .

كاتسبي : سأبذل كل جهد يا سيدى اللوردان الكريمان

جلوستر : هل نراك قبل أن ننام يا كاتسبي ؟

كاتسبي : أجل يا سيدى اللورد .

جلوستر : مستجدنا كلينا في قصر كروسبي (يخرج كاتسبي)

١٩٠ بكنجهام : والآن يا سيدى ماذا ترانا نفعل

إن عرفنا أن اللورد هيستنجزلان يستجيب لخططنا ؟

جلوستر : نضرب عنقه يا رجل — ذلك ما سنفعل .

وحين أظفر بالملك فاسألنى أن تكون إيرل «هيرفورد» (١)

وتحوز كل ما كان لأخى الملك من مقتنيات منقولة .

١٩٥ بكنجهام : سأسأل تحقيق هذا الوعد من يدريك يا سيدى اللورد

جلوستر : وسنعطيك إياه برغبة صادقة .

والآن فلنتناول العشاء

ثم ننظر بعد ذلك في إحكام خططنا .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثاني

أمام بيت اللورد هيستنجز : الوقت ليل
(يطرق الباب « يدخل رسول » ويفف دون باب هيستنجز)

- الرسول : سيدى اللورد ! سيدى اللورد !
هيستنجز (من الداخل) : من الطارق ؟
- الرسول : رسول من اللورد ستانلى
هيستنجز (من داخل) : كم الساعة ؟
- الرسول ٥ : أوشكت على الرابعة (يفتح هيستنجز الباب)
- هيستنجز : ألا يستطيع سيدى اللورد ستانلى النوم
فى هذه الليالى الطويلة الثقيلة ؟
- الرسول : يبدو أنه لا يستطيع ، وربما أدركت هذا بعد أن
تسمع رسالته ،
وهو يبدأ فيبعث بتحياته إلى مقامك الجليل .
- هيستنجز : ثم ؟ ثم يقول ، لنبالتك ، إنه قد رأى الليلة فى المنام
- الرسول ١٠ : إن الخنزير البرى هاجمه وأسقط خوذته ؛

ويقول إن ثمة مجلسين ينعقدان غدا ،
 وربما تقرر في أحدهما ما يجعلك
 أنت وهو تأسفان على ما دار في الآخر ؛
 لذلك أرسلني لأسأل عظمتك
 هل تحب أن تركب معه في الحال ،
 لترحلا سريعا إلى الشمال
 حتى تتجنبنا الخطر الذى توقعته نفسه في الحلم
 الذى رآه .

هيستنجز : اذهب يا رجل - اذهب . عد إلى مولاك

وأخبره ألا يخاف المجلسين المنفصلين ؛

فسيشهد كلانا المجلس الأول ،
 ويحضر الآخر صديقى الكريم كاتسبي ،
 فإذا دار هناك أى شىء يهمنى
 فسينبئنا به .

قل له إن مخاوفه لا مبرر لها من الواقع ،
 أما أحلامه فإنه لا ينبغى أن يكون من السذاجة
 بحيث يصدق أضغاث الأحلام ،
 تلك التى يوحى بها إليه نوم غير مطمئن .
 إن فرارنا أمام الخنزير ، قبل أن يتبعنا ،

سيغريه بأن يطاردنا وإن لم ينو ذلك من قبل .
 اذهب ، واسأل مولاك أن ينهض . ويحضر إلى ؛
 لكي نذهب معا إلى البرج ،
 وسيرى هناك كيف يكون الخنزير رقيقا معنا .

٣٠

الرسول : سأمضي وأبأغ رسالتك إليه يا سيدى اللورد (يخرج)
 (يدخل كاتسى)

٣٥ كاتسى : سعد إصباحك دائماً ، يا سيدى اللورد النبيل !

هستنجز : سعد صباحك يا كاتسى . لقد نهضت مبكرا .

ما الأنباء ؟ ما أنباء دولتنا المتداعية ؟

كاتسى : حقا ! إنه لعالم مترنح ، يا سيدى اللورد ؛

وما أظن أن أمره سيستقيم أبدا

٤٠ إلا أن يلبس رتشارد إكليل الملكة .

هستنجز : كيف ؟ يلبس الإكليل ! أتعنى التاج ؟

كاتسى : أجل يا سيدى اللورد .

هستنجز : إني لأوثر أن يطاح بتاج رأسى^(١) الذى أحمله

على كتفى ؛

قبل أن أرى التاج يوضع فى غير موضعه على هذا

النحو الزرى .

(١) يعنى رأسه . والكلمة بالإنجليزية تعنى التاج والرأس معا .

- ولكن أتظنه يسعى إلى ذلك ؟ ٤٥
- كاتسي : أجل ، لعمرى . وهو يأمل أن يراك سريعا إلى جانبه ،
لما سيكون في ذلك من خير لك .
لذلك أرسلنى بهذا النبأ السار .
إن أعداءك من أقرباء الملكة
سيقتلون بلا ريب اليوم في « بومفرت » . ٥٠
- هيستنجز : حقا إن هذا النبأ لا يحزننى ،
فإنهم كانوا ، ولا يزالون ، أعدائى .
أما أن أنحاز إلى جانب رتشارد ،
لأحول بين ورثة مولاي وبين حقهم المشروع
في العرش ؟
- ٥٥
- كاتسي : فאלله يعلم أنى ان أفعل ذلك ولو متّ دونه .
أدام الله وفاءك يا سيدى اللورد .
- هيستنجز : ولكن العام لن ينقضى حتى أضحك من هذا ،
حين أشهد مأساة أولئك
الذين حاولوا أن يدفعونى إلى عداء مولاي .
أقول لك يا كاتسي . .
- ٦٠
- كاتسي : ماذا ، يا سيدى ؟ .
- هيستنجز : لن ينقضى أسبوعان حتى أقضى على بعض الناس

دون أن يتوقعوا من ذلك شيئاً .

كاتسي : إنه لشيء فظيع ، يا سيدى اللورد الكريم ،

أن يقتل المرء على غرة .

٦٥ هيستنجز : أوه ! إنه بشع ! وهكذا سيكون وقعه

عند ريفرز وفوجان وجرای .

وهكذا سيكون وقعه عند غيرهم ،

أولئك الذين يظنون أنفسهم ،

مثلى ومثلك ، بمأمن من الخطر ،

أولئك الذين يحبهم الأميران رتشارد وبكنجهام

كما تعلم .

٧٠

كاتسي : إن الأميرين يقدران مالك من شأن رفيع .

(بينه وبين نفسه) فلإنهما يقدران أن رأسه قد اتخذ

مكانه الرفيع على الجسر^(١)

هيستنجز : أعلم هذا عنهما . وإني لأهل له .

(يدخل لورد ستانلى)

أهلا - أهلا - أين رحلك يا رجل ؟

أتخاف الخنزير البرى وتمضى هكذا بغير سلاح !

٧٥

ستانلى : صباح الخير ، يا سيدى اللورد . صباح الخير

يا كاتسي

(١) يعنى أن رأسه سيعلق على جسر لندن بعد إعدامه كما كان متبعاً .

تستطيع أن تسخر من ذلك ،
ولكني أقسم بحق الصليب المقدس أنى أنا
لا أطمئن إلى هذين المجلسين ، المنفصلين .

سيدى ،

هستهجز :

٨٠

إنى حريص على حياتى حرصك على حياتك ،
بل إنى لأؤكد بأنى لم أكن يوما أحرص منى
عليها الآن .

أتظن أنى أستطيع أن أكون مبتهجاً ، كما ترانى ،
لو لم أكن مطمئنا على سلطاننا ؟

لقد كان اللوردات الذين يقيمون الآن فى سجن بومفرت :

ستافلى

٨٥

مبتهجين حين ركبوا من لندن ،
وكانوا مطمئنين على سلطانهم ، ولم يكن هناك ،
حقا ، ما يبعثهم على الريبة .

ومع ذلك فأنت ترى كيف تلبد يومهم سريعا بالغيوم .
إنى لأخشى طعنة الحقد الغادرة .

واسأل الله أن تثبت الحوادث أنى كنت جباناً
دون داع إلى الجبن ا

هلا ذهبنا إلى البرج ؟ فقد أوشك اليوم^(١) أن ينصرم .

٩٠

(١) فى البيت الخامس فى أول هذا المنظر يذكر أن الساعة « أوشكت الرابعة »

هستنجز : هلم بنا - هلم - أو تعلم ، يا سيدى اللورد ،
أن السادة الذين تتحدث عنهم ستضرب أعناقهم
اليوم ؟

سائل : إنهم بإخلاصهم يستحقون أن يحتفظوا برؤوسهم
أكثر مما يستحق بعض الذين اتهموهم أن يلبسوا
قبعاتهم .

٩٥ ولكن هلم بنا يا سيدى اللورد (يدخل رسول رسمى)
هستنجز : فلتذهب أنت الآن ريثما أتحدث إلى هذا الفتى الطيب .

(يخرج سائل وكاتسى)

ماذا وراءك يا فتى ! وكيف حالك ؟

الرسول : إن سؤال عظمتكم عن حالى يجعلنى فى خير حال .

هستنجز : أما عن حالى فإنى أقول لك يا رجل ،

١٠٠ إنها الآن أسعد مما كانت عليه حين التقينا آخر مرة ،

فقد كنت حينئذ فى طريقى إلى سجن البرج

بإيحاء من شيعه الملكة ؛

أما الآن فإنى أنبئك بنجر أرجو أن تحتفظ به سرا .

صباحاً مما يجعل وقت المنظر لا يوافق قوله أو شك اليوم أن ينصرم . وهذا مرجعه إلى الخطأ
أو سهو من المؤلف نفسه .

إن هؤلاء الأعداء سيعدمون اليوم ،
ولم تكن حالي في يوم خيرا مما هي الآن .

١٠٥

الرسول : أدام الله على عظمتكم الخير والرضى
هستنجز : شكرا عظيما . أيها الفتى . نخذ واشرب نخبي
(يره إليه بكيسه)

الرسول : أشكر عظمتك

(يخرج) (يدخل قسيس)

القسيس : أهلا سيدي اللورد — إني سعيد برؤية عظمتك .
١١٠ هستنجز : أشكرك من صميم قلبي ياسيدي الكريم السير^(١) جون .

إني مدين لك بما أديت من طقوس ؛
ولكن عد السبت التالي ، تجد ما يرضيك .
(يمس في أذنه)

القسيس : سأقوم على خدمتك .

(يدخل بكنجهام)

بكنجهام : ماذا ! أيتحدث اللورد ، كبير أمناء القصر ، إلى
قسيس ؟

١١٥ إن أصدقاءك في « بومفرت » ، هم الذين يحتاجون
إليه ؛

(١) كان لقب سير يمنح في تلك الأيام لمن يحمل شهادة عالية في علوم الدين .

أما عظمتك فلا حاجة بك الآن إلى الاعتراف .

هستنجز : يا لله لقد ذكرت أولئك الذين تتحدث عنهم
حين لقيت هذا القسيس . اذهب أنت إلى
البرج ؟

بكنجهام : أجل يا سيدى اللورد . ولكنى لن أمكث طويلا ،
فسأعود من هناك قبل أن تعود عظمتك^(١) ١٢٠

هستنجز : هذا صحيح فسأبقى لأتناول الغداء هناك .

بكنجهام : (لنفسه) والعشاء أيضا ، وإن كنت لا تدري .

(يجهر بالقول) أذهب أنت الآن ؟

هستنجز : أجل — سأذهب فى خدمتك .

(يخرجون)

(١) إشارة إلى أنه لن يعود أبداً .

الفصل الثالث

المنظر الثالث

قلعة بومفرت (Pomfret)

(يدخل سير رتشارد راتكليف وحملة الرماح يسوقون ريمرز وجرى وفوجان إلى الموت)

- راتكليف : هيا — تقدّموا بالسجناء .
- ريفرز : دعني أقل لك ، يا سير رتشارد ،
إنك ستشهد اليوم ، موت واحد من رعية الملك ،
لإنخلاصه وولائه واتباعه الحق .
- جرى ٥ : حمى الله الأمير من طغمتكم جميعا !
فأنتم عصابة لعينة من مصاصي الدماء .
- فوجان : ستعيش حتى تبكى ندما على هذا .
- راتكليف : هيا فقد حان أجلكم .
- ريفرز : أي بومفرت ، أي بومفرت ! أيها السجن الدموي ،
يا تهلكة السادة النبلاء وشقاءهم !
بين جدرانك اللعينة !
- مزقت السيوف رتشارد الثاني .
- وها نحن أولاء نمنحك دماء النبيلة لتشربها .

ویزداد مقرك المشئوم عارا بين الناس .

۱۵ جرای : لقد حلت علی رؤوسنا لعنة مرجريت ،

عندما صرخت مستنجدة بهیستنجز ، وبك ، وبي ،

فلم نحرك ساكنا ونحن نرى رتشارد يطعن ولدها .

ریفرز : لقد استنزلت اللعنات علی هیستنجز ،

ثم علی رتشارد ، ثم علی بكنجهام . رب فلا

تنس دعاءها عليهم ، كما سمعت دعاءها علينا . ۲۰

ولتكن دماؤنا یا ربی الکریم ،

دماؤنا التي سراق — كما تعلم — دون ذنب ،

كفارة عن أختی وولديها الأميرین .

راتکلیف : هيا فقد حانت ساعة الموت .

۲۵ ریفرز : فلنتعانق ويودع بعضنا بعضا

أی جرای وفوجان إلى أن نلتقي فی السماء .

(یخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الرابع

برج لندن

(يدخل بكنجهام ودربى وهيستنجز وأسقف أيلى وراثكيليف ولوفل مع آخرين ، ويجلسو إلى منضدة) .

- هيستنجز : وبعد ، أيها السادة النبلاء ،
لقد اجتمعنا لكى نحدد يوما للتويج .
فقولوا بالله ! متى يكون ذلك اليوم الملكى ؟
بكنجهام : أأعد كل شيء لذلك اليوم الملكى ؟
دربى : أجل ولم يبق إلا أن نحدده .
أيلى : إن غدا ليوم ميمون فيما أرى .
بكنجهام : من منكم يعرف رأى اللورد الوصى ؟
أيلى : أظن أن عظمتك تستطيع أن تعرف رأيه بأسرع مما نستطيع
بكنجهام ١٠ : من ! أنا يا سيدى ؟
كلانا يعرف وجه صاحبه

أما عن قلوبنا فإنه لا يعرف عن قلبي ، أكثر
 مما أعرفه عن قلبك ،
 ولا أعرف عن قلبه ، يا سيدى ، اللورد أكثر
 مما تعرفه عن قلبي .
 أى ، لورد هيستنجز ، إنكما صديقان حميان .

١٥ هيستنجز

: إننى أشكر عظمته لما يولبنى من ود .
 ولكنى لم أسأله عن رأيه
 فى أمر التتويج ،

ولم يشأ عظمته أن يقول شيئاً عنه .
 على أنكم ، أيها السادة اللوردات الأجلاء ،
 تستطيعون أن تحددوا اليوم ،
 وسأدلى برأى نيابة عن الدوق . وأرجو أن يوافق عليه .
 (يدخل جلوستر)

٢٠

: ها قد جاء الدوق بنفسه فى وقت حاجتنا إليه .
 : طاب صباحكم جميعاً ، ياسادتي اللوردات الأجلاء ،

لايل

جلوستر

ويا أبناء العم . لقد تأخرت فى النهوض ،
 ولكنى ، أرجو ، ألا يكون ذلك قد عاقكم عن
 بحث أمور خطيرة
 كان حضورى معكم يمكن أن ينجزها .

٢٥

- بكنجهام : لو لم تجئ في اللحظة المناسبة ،
ياسيدى اللورد لأعلن وليم لورد هيستنجز عن موقفك ،
أعنى عن رأيك ، في أمر تتويج الملك .
- ٣٠ جلوستر : لن تجد أحدا أكثر جرأة من اللورد هيستنجز ؛
فإن عظمته يعرفني خبير المعرفة ويحبني أصدق الحب .
هيستنجز : شكرا لعظمتك .
- جلوستر : أى لورد إيللي .
إيل : سيدى ؟
- جلوستر : لقد رأيت في حديقتك حين كنت في «هولبورن» آخر مرة
ثمرا طيبة من « الفراولة » .
- ٣٥ : فهلا أرسلت في طلب شيء منها .
إيل : يا لله لأفعلن يا سيدى بكل سرور .
(يخرج)
- جلوستر : بكنجهام يا ابن العم ، إن لي كلمة معك .
(تتحنى به جانبا)
- لقد استطاع كاتسبي رأى هيستنجز فيما اعتزمنا من أمر ،
فوجد السيد العنيد عنيفا كل العنف

حتى أنه ليؤثر أن يفقد عنقه
 قبل أن يوافق على أن يفقد عرش إنجائته
 ولد سيده — كما يأتي له إخلاصه إلا أن يسميه .
 : انصرف سيادتك برهة وسأصحبك .
 (يخرجان)

بكنجهام

دری

: لم نحدد بعد ذلك اليوم المظفر ،
 وفي رأيي ، أن الغد جد قريب ،
 ولست على استعداد له ؛
 كما يمكن أن أكون لو كان أبعد من هذا .
 (يعود أسقف أيل)

لايل

: أين سيدي اللورد دوق جلوستر ؟

لقد أرسلت في طلب « الفراولة » .

هستنجز ٥٠

: إن عظمته يبدو اليوم مبتهجاً راضياً ؛

ولا شك أن تحيته إيانا يمثل ذلك المرح دليل
 على أن هناك أمراً أو آخر سره سروراً كبيراً .
 فما أظن أحداً على وجه الأرض يضارعه

في عجزه عن إخفاء حبه أو بغضه ؛

حتى ليستطيع المرء بنظرة واحدة إلى وجهه أن

يعرف مكنون قلبه .

دربي : وماذا عرفت اليوم من مكنون قلبه

بما بدا على وجهه من سرور ؟

هيستنجز : الحق أنه غير ساخط على أحد هنا .

فلو كان به سخط لبان ذلك في وجهه .

٦٠ دربي : أسأل الله ألا يكون به سخط على أحد .

(يعود جلوستر وبكنجهام وقد علت وجهه كآبة عجيبة وراح
يقطب جبينه ويعض شفته) .

جلوستر : ناشدتكم جميعا أن تخبروني ،

ما جزاء من يأترون على موتي ،

بأساليب شيطانية من السحر اللعين ؟

ومن نالوا من جسدي بطلاسمهم الجهنمية ؟

٦٥ هيستنجز : إن ما أحمله لعظمتك من حب حان ، ياسيدي اللورد ،

يحدوني أن أبادر ، أمام هؤلاء النبلاء ،

فأدين أولئك المجرمين مهما تكن أشخاصهم :

وأعلن يا سيدي اللورد أنهم يستحقون الموت .

جلوستر : إذن فلتشهد عيناك على ما أصابني من شرهم !

٧٠ انظر كيف حاق بي السحر !

تأمل ذراعي وقد ذوت

كغصن جاف عصف به الريح .

ذلك ما صنعته بسحرها زوج إدورد ؛

تلك الساحرة الرهيبة ، هي وتلك البغي شور ،

٧٥ هيستنجز : إن كانتا قد فعلتا ذلك ، يا سيدى اللورد النبيل ،

جلوستر : إن ؟ يا حامي تلك العاهر اللعينة ،

أقول لى « إن » ؟ أنت خائن !

اضربوا عنقه . وحق القديس بولس

لن أتناول غدائى حتى أرى رأسه !

٨٠ عليكما بتنفيذ ذلك الأمر يا « لوفل » ويا « راتكليف » .

ولينهض الباكون ، الذين يحبونى ؛ وليتبعونى .

(يخرج الجميع ما عدا هيستنجز وراتكليف ولوفل)

هيستنجز : واأسفاه — واأسفاه على إنجلترة ! ولا ذرة من

أسف على أنا !

فقد كنت أستطيع أن أتجنب هذا ، لو لم أكن

على هذا النحو من الحمق .

لقد رأى استانلى فى المنام أن الخنزير البرى قد

أصاب خوذته ؛

ولكنى سخرت من حامه وأنفت من الفرار .

لقد عثر جوادى المجلل إلى قوائم ثلاث مرّات

حين رأى البرج اليوم ،

كأنما كان يأبى أن يحملنى إلى المجزرة .
أوه ، والآن أجدنى فى حاجة إلى ذلك القس ،
الذى تحدث إلى :

الآن أشعر بالندم لأنى قلت للرسول الرسمى ،
فى لهجة الظافر كل الظفر على أعدائه ،
لأنهم قد ذبحوا فى يومفرت
فى حين بقيت أنا فى رضى وأمن .
أى مرجريت ، أى مارجريت ، الآن حلت لعنتك الثقيلة
على رأس هيستنجز المسكين الشقى .

٩٠

٩٥ راتكليف : هيا هيا — وأسرع فقد حان موعد غداء الورد .
لا تطل اعترافك فإن الدوق يشتهى أن يرى رأسك .

هيستنجز : أيها النعيم الزائل ! يا نعيم المخلوقين الفانين
الذى نسعى وراءه أكثر مما نسعى وراء رضى الله !
إن من يبنى آماله على هواء من مظهرك الجميل ،
يعيش كببحار مخمور على سارية سفينة ،
تستطيع أية هزة أن ترمى به
إلى أحشاء البحر القاتلة .

١٠٠

لوفل : هيا — هيا — أسرع . إن الشكوى لا غناء فيها

: إيه ، أيها السفاح وتشارد ! - أى إنجلترة
التعسة !

هيسنتجز

إنى أتنبأ اكما بأشق مضير شهدته الأيام .
هيا - امضيا بى إلى النطع واحملا رأسى إليه
فإن من يضحكون لمصيرى عما قليل سيلقون
حتفهم .

(يخرون)

الفصل الثالث

المنظر الخامس

أسوار البرج

(يدخل جلوتر ويكنجهام في دروع بالية واضطراب بالغ)

جلوتر : إيه يا ابن العم — ألا تستطيع أن ترتجف وتتصنع الشحوب ؟

وتبدو كأنما تقطعت أنفاسك خلال الحديث ؟

ثم تبدأ الحديث من جديد ، ثم تقطعه .

كأنما أصابك الرعب بمس من الجنون ؟

• يكنجهام : حسبك فإنني أستطيع أن أقلد ممثل المأساة البارع

فأتحدث ، ثم أنظر إلى وراء ، وأطلع عين

يمين ، وشمال ،

ثم ارتجف ، وأفزع لسقوط قشة وأتكلف

التوجس الشديد ؛

ولا تنقصني النظرات الواهة

كما لا تنقصني الابتسامات المفتعلة ؛

فكلها على استعداد لمعونتي ،

فى أى وقت ، لكى أنفذ ما دبرت من خطط .

ولكن ، هل ذهب كاتسبى ؟

: نعم ، وها هو ذا قد أحضر العمدة .

(يدخل العمدة وكاتسبى)

: أيها العمدة .

: انظر هناك إلى الجسر المتحرك !

: أسمع — دقة طبل !

: انظر يا كاتسبى من فوق الأسوار .

: أيها العمدة لقد دعوناك لكى . .

: انظر وراءك — احم نفسك فقد أقبل بعض الأعداء !

: فليحمنا الله ويحرسنا — ولتحمنا وتحرسنا براءتنا !

: مهلا ، فإنهما صديقان . راتكليف ولوفل

(يدخل لوفل وراتكليف برأس هيستنجز)

: ها هو ذا رأس ذلك الخائن الخبيث ، هيستنجز ،

ذلك العدو الخطير الذى لم يكن يشك فيه أحد .

: أحس بحاجة إلى البكاء فقد كنت أحبه أعظم الحب .

لقد حسبته أصرح إنسان يعيش على هذه الأرض ؛

وأبعد المسيحيين طرا عن التفكير فى أى شر .

فاتخذت منه كتابا

جلوستر

بكنجهام

جلوستر ١٥

بكنجهام

جلوستر

بكنجهام

جلوستر

بكنجهام ٢٠

جلوستر

لوفل

جلوستر

٢٥

تسجل فيه روحى كل ما نخفى من خلجاتها .
 كم كان بارعا فى إخفاء رذائله ،
 بما يبدو عليه من مظاهر الفضيلة .
 حتى لقد عاش بعيداً عن كل ريبة ؛
 إن نحن أغفلنا ذنبه الظاهر المعروف
 أعنى صلته بزواج شور .

٣٠

بكنجهام : أجل — لقد كان أقدر الخائنين
 على إخفاء خيائنه وسترها .

هل يمكن أن يدور بخلدك ، أو تعتقد ،
 أنه لولا عناية الله العظيمة ،
 ما عشنا لنخبرك أن هذا الخائن الداهية ،
 كان قد أعد خطة لاغتيالنا اليوم ، فى مقر المجلس .
 أنا وسيدى الكريم لورد جلوستر ؟

٣٥

٤٠ العمدة : ماذا ! أو قد فعل هذا ؟

جلوستر : عجباً ! أتحسبنا أتراكا أو كفارا ،
 أم تحسب أننا كنا نبادر

إلى قتل ذلك الغادر ، فى مثل تلك العجلة ،
 دون أن نلجأ إلى القانون ،

لو لم تضطربنا إلى ذلك شدة خطورة الأمر ،
والمحافظة على سلامة إنجلترا ، وسلامتنا نحن ؟

العمدة

: كتب الله لكما الخير ! لقد استحق الموت .
وقد أحسنهما صنعا ، يا سيدى الكريمين ،
إذ جعلتهما نكالا للخائنين الخادعين .

٥٠ بكنجهام

: على أنى لم أتوقع منه خيرا قط ،
منذ بدأ علاقته بالخليلة شور .
ومع ذلك ، فقد كان فى نيتنا ألا نقتله ،
حتى تشهد عظمتك مصرعه .

٥٥

لولا أن حال دون ذلك إخلاص هذين السجينين
من أصدقائنا ، فدفعهما إلى تلك العجلة ،
وهو ما لا يلائم قصدنا كل الملاءمة .

لقد كنا نحب أن نسمع عظمتك ،
حديث الخائن ، واعترافه الوضيع ،
عن أسلوبه فى تنفيذ خيائنه ، وغايته منها ،
لكى تنقل ذلك إلى أهل المدينة ؛

٦٠

حتى لا يسيئوا تأويل سلوكنا نحوه ، ويحزنوا لموته .

العمدة

: ولكن قولك ، يا سيدى اللورد الكريم ،

يغنى عن رؤيتي إياه ، وسماعى اعترافه .
وسأعمل ، يا سيدى النبيلين على أن أنقل
إلى أهل المدينة المخلصين ،
عدالة مسلككما فى هذا الأمر .

٦٥

جلوستر : ولهذا الغرض كنا نود أن تكون عظمتك حاصرا ،
حتى نتجنب نقد الناس وملامتهم .
بكنجهام : أما وقد جئت بعد فوات الوقت
فاشهد على ما كنا قد انتويناه .

٧٠

وإلى اللقاء يا سيدى اللورد الكريم .
(يخرج العمدة)

جلوستر : اذهب — اتبعه يا بكنجهام يا ابن العم —
اتبعه فإنه سيمضى سريعا إلى ندوة المدينة :
وهناك فانتهاز الفرصة ، بقدر ما تستطيع ،
لكى تقدح فى نسبة أبناء إدورد إلى أبيهم .
أنخبر الناس كيف أعدم إدورد رجلا من أهل المدينة ،
لا لشيء إلا لأنه قال إنه سيجعل ابنه وريثا للتاج ،
يريد بذلك بيته المعروف بهذا الاسم
إذ كان التاج ^(١) هو العلامة المميزة له .

٧٥

(١) كانت البيوت فى تلك الأيام تحمل علامات مميزة بدل الأرقام .

ثم تحدث عن ترفه اللميم ،
وخضوعه البهيمى لشهواته المتقلبة ،

٨٠

تلك التى امتدت إلى خادماهم وبناتهم وزوجاتهم .
ذكرهم كيف كانت عينه النهمة ، وقلبه الضارى ،
يبحثان دائما بلا وازع عن فريسة جديدة .

فإن اقتضى الأمر فأخبرهم ، لكى تخلص إلى ذكرى ،
أن أبى ، الأمير يورك ، كان يحارب فى فرنسا ،
حين وضعت أمى ذلك المنهوم لإدورد .

٨٥

وحين حسب أبى أيام الحمل حسابا دقيقا ،
تبين له أن الوليد ليس ابنه .

وقد صدقت ملامح الوليد شكه ،

٩٠

إذ لم تكن ملامحه تشبه ملامح والدى النبيل فى شىء .
على أنه ينبغى أن تمس هذا الأمر مسأ رقيقا ؛
كأنما جاء إلى خاطرك عرضا .

فإنك تعلم ، يا سيدى اللورد ، أن أمى لا تزال
على قيد الحياة .

بكنجهام : لا تخش شيئا ، يا سيدى اللورد ، فسأقوم .
بدور الخطيب فى براعة .

كما لو كنت سأنال لنفسي
تلك المكافأة الذهبية التي أطلبها لك .
فإلى اللقاء يا سيدى اللورد .

جلوستر : إذا وفقت إلى غاية تلك فأحضرهم إلى قلعة «باينارد»^(١)
حيث تجلنى ، فى صحبة القسيسين الأجلاء ،
والأساقفة الراسخين فى العلم .

١٠٠ بكنجهام : سأذهب الآن . انتظر ما أحمله من أنباء ندوة
المدينة ،

حول الساعة الثالثة أو الرابعة .
(يخرج)

جلوستر : اذهب يا لوفل بأقصى سرعة إلى الدكتور شو^(٢)
(إلى كاتسبى)

واذهب أنت إلى الأب « بنكر »^(٢)
واسألهما أن يلقيانى فى تلك الساعة فى قلعة
« باينارد » .

(١) قلعة باينارد Baynard Castle .

(٢) من رجال الدين وهما اللذان سيخرج جلوستر بصحبتهما للقاء العمدة فى الفصل
التالى .

(يخرج الجميع ما عدا جلوستر)

فلأدخل الآن لأدبر أمراً خاصاً ، فأبعد ولد
كلارنس وابنته عن هذا المكان .
وأمر ألا يتصل أحد ، مهما يكن شأنه ،
بالأميرين .

(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر السادس

المنظر نفسه — شارع

(يدخل مسجل بورقة في يده)

المسجل : هذه هي وثيقة اتهام اللورد هيستنجز الرجل

الطيب كتبها بخط واضح أنيق

لكي تُقرأ اليوم في كنيسة القديس بولس .

ما أروعها من قصة محبوكة !

لقد أنفقت في نسخها إحدى عشرة ساعة ،

إذ جاء بها إلى كاتسبي ليلة أمس ؛

واستغرقت صياغة مسودتها مثل هذا الوقت .

ومع ذلك فقد كان اللورد هيستنجز لا يزال

منذ خمس ساعات على قيد الحياة :

حرّاً عزيزاً لا يهتمه أحد . يا لها من حياة طيبة !

من ذلك الغبي الذي لا يرى تلك الخدعة البينة ؟

ولكن ، من ذلك الجريء الذي يستطيع أن

يقول إنه يراها ؟

يا للحياة المليئة بالشر ! ويا للضياح حين يغمض

الناس أبصارهم عن ذلك السلوك المعيب !

٥

١٠

الفصل الثالث

المنظر السابع

قلعة باينارد

(يدخل جلوتر وبكنجهام من بابين مختلفين)

- جلوتر : والآن يا سيدى ، ماذا قال أهل المدينة ،
وقدسية أم سيدنا المسيح ؟
بكنجهام : لقد لزموا الصمت . ولم ينطقوا بكلمة واحدة .
جلوتر : هل أشرت إلى الشك فى نسب أبناء إدورد ؟
بكنجهام : أجل — وأشرت إلى عقد زواجه السابق على السيدة
لوسى (١)

وإلى عقد زواجه وهو بفرنسا بالتفويض ،
وإلى شهواته النهمّة التى لا تشبع ،
واغتصابه نساء المدينة ؛
وإلى ما كان يأخذ الناس به من ظلم ، من أجل
أشياء صغيرة تافهة ،
وإلى نسبه هو الزائف ، إذ كان قد ولد وأبوك فى فرنسا ؛
وأشرت إلى أن ملامحه لا تشبه ملامح أبيك اللدوق :

١٠

(١) لوسى Lucy

- ثم ذكرت أن قسماتك أنت ،
تشبه قسمات أبيك كل الشبه ؛
وأنتك مثله في مظهرك ومخبرك النبيل .
- وأشدت بجميع انتصاراتك في اسكتلاندا ١٥
وحزمتك في الحرب ، وحكمتك في السلم ،
وكرمك وما تتحلى به من فضيلة ، وتواضعك بالجميل .
والحق أنى لم أترك شيئا يخدم غايتك
إلا ذكرته أو أشرت إليه .
وحين فرغت من خطبتي ؛ ٢٠
طلبت إلى كل من يخلص لوطنه الحب ،
أن يهتف : عاش رتشارد ملك إنجلترا
جلوستر : وهل هتفوا ؟
بكنجهام : لا والله ! ما نطقوا بكلمة واحدة !
- بل ، نظر بعضهم إلى بعض ، في صمت ، وقد عراهم
شحوب بالغ . ٢٥
كأنهم تماثيل نحرساء ، أو صخور تتنفس ؛
فلما رأيت ذلك منهم ، وجهت إليهم اللوم ؛
وسألت العمدة عن سر ذلك الصمت العنيد ؛
فأجابني بأنهم لم يتعودوا أن يتحدث إليهم أحد

في تلك الأمور ، غير مسجل الندوة .

٣٠

فطلبت إليه أن يعيد عليهم قولي ، ففعل ،
فكان يردد القول «هكذا تحدث الدوق وهكذا قال»
ولم يزد شيئا واحدا من عنده تصديقا لذلك .
ولما فرغ من خطابه قذف بعض أتباعي

٣٥

في آخر القاعة بقبعاتهم في الهواء ،
وصاح ما يقرب من عشرة رجال . حفظ الله
الملك رتشارد !

فانهزت هتاف هذه الفئة القليلة ،
وقلت : « شكرا لكم ، أيها المواطنون والأصدقاء
الأغزاء ،

« إن هذا الاستحسان العام ، وتلك الهتافات
المستبشرة التي انبعثت منكم جميعا

٤٠

لبرهان على حصافتكم وحبكم لرتشارد . »
وعند ذلك غادرت الاجتماع وجئت إلى هنا .
يا لهم من أحجار خرس ! أهكذا أبوا أن ينطقوا ؟

جلوس

: أجل ، وأيم الحق ، يا سيدي اللورد .

بكنجهام

: ألن يحضر العمدة ورفاقه إذن ؟

جلوس

: إنه هنا قريب — والآن يا سيدي اللورد الكريم

بكنجهام

فلتتظاهر بشيء من الخوف،

٤٥

وبأنك غير راغب في الحديث إلا برجاء وإلحاح.

ولتحمل في يدك كتابا من كتب الصلوات ،

ولتقف بين رجلين من رجال الدين ،

فسأصنع من تلك النعمة لحنا رائعا مقدسا .

ولا تجب سؤالنا في يسر؛ بل كن كالعذراء لا تجيب

٥٥

إلا بـ « لا » ، وهكذا يتم لك الأمر .

: سأذهب— وإذا استطعت أن تلح في سؤال بالنيابة عنهم

جلوس

كما سألح في الرفض ،

فلا شك أننا سننجح في تدبيرنا .

: هيا — اذهب إلى الفناء فإن العمدة يدق الباب

٥٥ بكنجهام

(يدخل العمدة وبمض المواطنين الفناء)

مرحبا يا سيدى اللورد — إني ما زلت في الانتظار هنا .

يظهر أن الدوق لا يحب أن يتحدث إليه أحد

في ذلك الأمر .

(يدخل كاتسبي)

كاتسبي ، ما رأى مولاك اللورد فيما سألت ؟

: إنه يرجو عظمته ، يا سيدى اللورد الكريم ،

٥٩ كاتسبي

أن تزوره غدا أو بعد غد .

٦٠

فإنه في الداخل بصحبة اثنين من آباء الكنيسة الأجلاء ،
يقضون الوقت في الصلاة والتأمل .
ولا يستطيع أن ينصرف عن ذلك العمل المقدس ،
إلى التفكير في أمور الحياة الدنيا .

: عُد ، أيها السيد الطيب كاتسي ، إلى الدوق الجليل ،
قل له إننا ، أنا والعمدة ، وبعض أعوانه ،
قد جئنا لنتحدث إلى عظمته
في أمور خطيرة الشأن ،
تتصل بصالحنا جميعا .

٦٥ بكنجهام

: سأنقل إليه من فوري جميع قولك يا سيدي

٧٠ كاتسي

(يخرج)

: آهـها ! إن هذا الأمر يا سيدي اللورد شيء غير إدورد .

بكنجهام

إنه لا يقضى نهاره متقلبا في فراش الدنس ،
بل يقضيه راكعا يصلي ؛

ولا ينفق وقته عابثا مع بغيين ،

بل ينشقه متأملا مع قسين ورعين ،

٧٥

ولا ينام ليزداد جسده المسترخى لحما وشحما ،

ولكن يصلي لتزداد نفسه العاكفة ورعا وتقوى .

يا لحظ إنجلترة السعيد ، لو قبل هذا الأمير التقي ،
أن يكون ملكا عليها !

ولكنى أخشى ألا نستطيع حقا إقناعه بالقبول .

٨٠

: لا قدر الله أن يرفض !

العمدة

: أخشى أن يفعل . ها هو ذا كاتسبي قد أقبل ثانية .

بكنجهام

(يعود كاتسبي)

ما قول عظمته الآن يا كاتسبي ؟

: إنه يعجب لماذا جمعت هذا الحشد

كاتسبي

من أهل المدينة ليتحدثوا إليه ،

٨٥

دون أن تحيطوه علما بذلك من قبل ؟

وهو يخشى يا سيدى اللورد أنك لا تقصد خيرا .

: إنه ليحزننى أن يظن ابن عمى النبيل ،

بكنجهام

أنى لا أقصد خيرا ،

فوالله ما جئت إلا بدافع من حبي البالغ له .

٩٠

فعد إليه ، وبلغه ما أقول .

(يدخل كاتسبي عليه مرة أخرى)

حين يمسك الأتقياء بمسبحاتهم

يصبح صرفهم عنها أمراً عسيرا .

كم هو جميل أن يستغرق المرء فى التأملات الحارة !

(يدخل جلوستر منتصب القامة بين أسقفين ويمود كاتسبي)

: انظر كيف يسير بين اثنين من رجال الدين .

: إنهما ، لأمير مسيحي ، عمادان من الفضيلة

يعصمانه من السقوط في مهاوى الغرور ،

انظر ! إن في يده كتاب صلاة !

إنها أمور تزين حقيقة الرجل التقى .

أيها الأمير النابه الأجل من آل بلانتاجنت !

أعر سؤلنا أذنا صاغية ،

واغفر لنا إخراجنا إياك من صلاتك وعكوفك

الذى هو شيمة المسيحي التقى .

: لا حاجة بكم إلى الاعتذار ، يا سيدى اللورد ،

بل إن على أنا أن أطلب إليكم الصفح .

إذ تأخرت في الخروج إلى أصدقائى ،

لأنصرفنى إلى عبادة الله .

وبعد ، فماذا تحبون أن تقولوا لى .

: ما يرضى الله فى علاه ،

ويرضى الأنخيار جميعا من أهل الجزيرة التى

لا حاكم الآن لها .

: أنخشى أن أكون قد اقترفت ذنبا

٩٥ العمدة

بكنجهام

١٠٠

جلوستر

١٠٥

بكنجهام

١١٠

جلوستر

أسخط أهل المدينة ،
 فجئتم تنعون على جهالتى .
 : لقد اقترفت ذنبا ، يا سيدى اللورد ، ونرجو أن
 يكتنبهام
 تستجيب ، عظمتك ،

١١٥

لتوسلاتنا وتكفر عنه .
 : لا كنت مسيحيا إن لم أفعل .
 : إذن فاعلم أن ذنبك
 يكتنبهام

أنك تتخلى عن المنصب السامى ؛
 والعرش الجليل ، وصوبلخان أسلافك ،
 والمكانة التى منحها إياك حظك ، وجعلها من
 حقك نسيك ،

١٢٠

ومجد آبائك ، وبيتك الملكى ؛
 تتخلى عن ذلك كله ليفسد فيه بيت غير صحيح النسب ؛
 وتستغرق أنت فى سبات أفكارك الطيبة ،
 التى جئنا نوقظك منها ، لخير هذه البلاد .
 بينما تحتاج هذه الجزيرة المحيطة إلى سواعد أبناءها
 الصادقين ،

١٢٥

بعد أن شوهت وجهها جراح العار ، واختلطت
 شجرة أسرتها الملكية بأشجار نخشة ؛

وكادت تهوى فى هوة مخيفة من النسيان الأعمى
والخفاء الحالك .

لذلك نسألك الآن ، من قلوبنا ،
أن تتقدم — لكى تنقلها — فتحمل العبء ،
وتقوم بحكم بلادك هذه ،
لا وصيا ، ولا قيا ، ولا نائبا ،
ولا وسيطا قليل الشأن لخير إنسان آخر ،
ولكن ملكاً يحكم دولته

١٣٠

بحق وراثته الملك كابرا عن كابر ،
وبحق مولده وبحق دولته ، وبحقه على نفسه .
فى سبيل هذه الغاية
جئت أستنهض عظمتك ،

١٣٥

يستحنى إلى ذلك استحثاثا هؤلاء المواطنين ،
وأصدقاؤك هؤلاء المحبون المخلصون .

١٤٠

: لست أدري أنصرف فى سكون

جلوس

أم أتكلم فأوجه إليك اللوم المرير .

أقول ما يلائم شعورى أو ما يلائمك ؟

فربما ظننت إن لم أجيبك أن الطموح قد عقد لسا

وإننى بسكوتى قد سلمت .

١٤٥

بأن أحمل نير الملكية الذهبي ،
الذى تتوق نفسك إلى أن تضعه على عاتقي ،
وإن وجهت إليك اللوم لمطلبك هذا
الممزوج بحبك وولائك لي ،
فربما ساء ذلك أصدقائي من ناحية أخرى .
لذلك سأتكلم حتى لا تظن بي أول الأمرين ،
وسأتكلم على نحو يجنبني ثانيهما ؛
فأقول في صراحة

١٥٠

إن حبك لي يستحق شكرى .
ولكن قدرى المتواضع يأبى أن أجيبك إلى مطلبك الخطير .
فلو أن جميع العقبات قد زالت ،
وغدا طريقى سهلا ممهدا إلى التاج ،
الذى يواتبنى بفضل نضوج سنى ،
ونضوج رأيى ، وبحكم مولدى ؛

١٥٥

فإنه لخير لي ، أنا الضعيف الهمة العظيم النقائص ،
أن أتوارى عن الطريق الذى يؤدى إلى العظمة ،
من أن أشتى أن أتوارى بعد أن أظفر بها وأختنق
في غبار مجدى .
فلست إلا زورقا لا يستطيع أن يحتمل عباب

١٦٠

المحيط الزاخر .

على أنى أشكر الله إذ لا حاجة بكم إلى ؛
وليس لى من القدرة ما أعينكم به ، إن طلبتم عوفى ،
فإن الشجرة الملكية قد تركت لنا ثمرة طيبة ،
سينضجها مر الزمن السريع ،
فيصبح أهلا للعرش الجليل
ويسعدنا بحكمه دون ريب .

١٦٥

فعليه ألقى ذلك العبء الذى أردتم إلقاءه على .
فإنه من حقه ، وحق طاعه السعيد ،
فلا قدر الله أن أغتصبه من يديه !

١٧٠

بكنجهام : سيدى اللورد ، ذاك برهان على ما لعظمتك من
ضمير حى .

ولكن تلك الأسباب التى أشرت إليها تافهة ،
غير جديرة بالتقدير ، إذا تدبرنا جميع الظروف .
إنك تقول إن إدورد^(١) ابن أخيك .

١٧٥

وكذلك نقول ، ولكنه ليس من زوج إدورد^(٢)
فإن أخاك كان قد نخطب السيدة لوسى فى مبدأ الأمر ،

(١) الأمير الصغير ولي العهد .

(٢) والده الملك إدوارد الرابع .

- ولا تزال أملك على قيد الحياة ، تشهد على ذلك العهد .
- ثم إنه خطب بعد ذلك — بالتوكيل —
 « بونا »^(١) أنخت ملك فرنسا .
- ثم تحول عنهما إلى من ليست كفؤا له ،
 إلى أرملة كتيب وأم لأطفال عدة .
- قد أبلتها الهموم ، أشرف جمالها على الأفول .
 استطاعت وهي في خريف شبابها ،
 أن تأسر عينيه المفعمتين بالسهوة ؛
 وأن تنزل بطموحه من عليائه ،
 إلى درك زواج مهين غير شرعي^(٢) ؛
 وبهذا الزواج غير المشروع أنجبت له إدورد هذا ؛
 الذى يأبى لنا حسن الخلق إلا أن نسميه أميرا .
- ولولا إجلالى لبعض الأحياء^(٣)
 لأطلقت للسانى العنان ،
 وأفضت فى الأمر على نحو أعنف .
- لذلك أسألك ، يا سيدى اللورد الكريم ، أن تقبل
 هذا المنصب الجليل

(١) بونا . Bona

(٢) كان الزواج من أرملة يعد غير شرعى .

(٣) يعنى أم الملك إدورد وهى كذلك أم دوق جلوستر .

الذى نعرضه عليك ،

إن لم يكن لخيرنا وخير هذه البلاد ،
فلكى ترفع نسبك النبيل من وهدة الفساد .
التي دفعه إليها هذا الزمان الذميم ؛
ليعود نسبا صحيحا صادقا .

: إقبل ، يا سيدى اللورد الكريم ، فإن أبناء وطنك
يتوسلون إليك .

العمدة

٢٠٠

: لا ترفض ما نبذل لك من ولاء ، أيها المولى الجليل .
: أجب سؤالهم الحق ، وأدخل السعادة إلى نفوسهم .
: يا ويلتنا ! لم تلقون هذه الهموم على عاتق

بكنجهام

كاتسى

جلوستر

ولست أصلح للحكم والملك ،

سألتكم ألا يسوؤكم ما أقول ،

٢٠٥

ولكنى لا أستطيع ، وإن أستطيع ، أن أستجيب لكم .

: قد ترفض لأننا نعلم أنك تحب ابن أخيك الصغير
أصدق الحب ،

بكنجهام

وتأبى أن تنتزعه من العرش

ونعلم رقة قلبك ،

٢١٠

وما فى نفسك من رحمة حانية ،

نحو ذوى قرباك ،

بل نحو الناس جميعا على السواء ؛
ولكن سواء أجبت دعوتنا أو رفضتها ،
فإن ابن أخيك لن يكون ملكا علينا .

٢١٥

فستقيم على العرش شخصا آخر ،
وسيقضى ذلك على بيتكم ، ويجلله بالعار .
وعلى هذا العزم سنخرج الآن من عندك .
هيا أيها المواطنون ، فوالله إن أتوسل أكثر مما فعلت .
: لا تقسم يا سيدى اللورد بكنجهام .

جلوس

(يخرج بكنجهام مع أهل المدينة)

: ناده ثانية يا سيدى الأمير الكريم ، واقبل دعوتهم .
فلتفعل يا سيدى حتى لا تحزن البلاد جميعها .

٢٢٠ كاتسى

: أتضطروننى إلى حياة مليئة بالهموم ؟

جلوس

إذن ، فادعوهم ثانية ، فإنى لم أقدر من صخر ،
وقد نفذت توسلاتكم إلى قلبى ،

رغم ما أجده من ضميرى وروحى من سخط .

٢٢٥

(يعود بكنجهام ومن معه)

يا ابن العم بكنجهام ، وأنتم أيها الرجال الحكماء الخازمون ،
ما دمتم تأبون إلا أن تضعوا
نير المجد الثقيل على كاهلى ، رضيت أو لم أرض ،

- فسأتقدم لكى أحمله فى صبر .
- وأرجو أن يبرئنى إجباركم إياى ، ٢٣٠
- من كل ما يمكن أن يدنس صفحتى أو يصمنى به
الناس من تأمر ؛
- إن لحقتنى الفضيحة النكراء من جراء ذلك ،
أو أطل على اللوم بوجهه الشائه .
- فالله يعلم — وأنتم قد ترون —
ألا رغبة لى فى ذلك المنصب . ٢٣٥
- العمدة : بارك الله فى عظمتك ! لقد رأينا وسنتحدث بما رأينا .
- جلوستر : ولن يكون حديثك هذا إلا الحق .
- بكنجهام : إذن فىنى أحييتك بتمحية الملاك :
- عاش رتشارد ملاك إنجلترة .
- ٢٤٠ الجميع : آمين .
- بكنجهام : أتوافق على أن تتزوج غدا ؟
- جلوستر : متى تشاءون ما دمتم تريدون ذلك .
- بكنجهام : إذن فسنجىء إلى عظمتك غدا .
- أما الآن فإننا قد استخفنا السرور نستأذن فى الانصراف .
- ٢٤٥ جلوستر : هيا — ولنعد نحن إلى صلاتنا المقدسة .
- إلى اللقاء يا ابن العم . إلى اللقاء أيها الأصدقاء
(يذهبون)

الفصل الرابع

المنظر الأول

أمام البرج

(تدخل من ناحية الملكة إلزابث ودوقة يورك والمركيز دورست . وتدخل من ناحية أخرى آن دوقة جلوستر ومعها مرجريت بلانتاجنت ابنة كلارنس الصغيرة) .

الدوقة : من نلتى هنا ؟ حفيدتى بلانتاجنت

فى يد عمتها الرعوف دوقة جلوستر ؟

تالله إنها للذهابة إلى البرج

يدفعها حب قلبها الطاهر إلى زيارة الأميرين .

مرحبا بك يا ابنتى .

آن : أسعد الله صباحكما وطاب وقتكما

الملكة إلزابث : سعد صباحك يا أنختى العزيزة ! إلى أين ؟

آن : إلى البرج وأظنكم ذاهبون مثلنا

لزيارة الأميرين ،

يدفعكم الإخلاص كما يدفعنا .

١٠

الملكة إلزابث : شكرا لك يا أنختى العزيزة سندخل جميعا معا .

(يقبل براكنرى من البرج)

ها قد جاء رئيس الحرس فى وقت حاجتنا إليه .

ما أنخبار الأمير وابنى الصغير يورك

إن أذنت لى أن أسألك أيها الرئيس ؟

١٥ براكنرى : بخير يا مولاتى العزيزة . وأرجو أن تعذرينى

إن لم أستطع السماح لك بزيارتهم .

فقد أمرنى الملك أمرا قاطعا ألا أفعل .

الملكة إلزابث : الملك ! من يكون هذا ؟

براكنرى : معذرة لقد عنيت اللورد الوصى .

٢٠ الملكة إلزابث : لا قدر الله له هذا اللقب الملكى !

أوقد أقام الحدود بين حبيهما وبينى ؟

إنى أمهما . منذا الذى يستطيع أن يحول بينى وبينهما ؟

الدوقة : وأنا أم أبيهما . ولا بد أن أراهما .

آن : وأنا عمتهما بالنسب وأمهما بالحب .

٢٥ فاذهب بى إليهما وسأحمل عنك اللوم

ووزر تخليك عن عملاك .

براكنرى : لا يا سيدتى لا — لن أتخلى عنه على هذا النحو ،

فقد أقسمت يميننا على الطاعة ، وأرجو المعذرة .

(يمشى إلى الداخل)

(يقف لورد ستانلى)

ستانلى : سيداتى — إن لقيتكن بعد ساعة واحدة ،

٣٠

فسأهنى دوقة يورك بما عاشت

لترى كنتيها كلتيهما ملكتين جميلتين ،

(إلى آن) — هيا يا سيدتى إلى وستمنستر

لتتوجى هناك ملكة مع زوجك رتشارد .

الملكة إلزابث : أواه ! فلينشق ثوبى عن صدرى

٣٥

لكى يجد قلبى متنفسا لضرباتى ،

وإلا فقدت وعيى لهذا النبأ القاتل .

آن : يا لها من أخبار بغیضة أليمة !

دورست : لا تستسلما لليأس . كيف تجدينك يا أماء ؟

الملكة إلزابث : دورست ، لا تخاطبنى . ابتعد عن هذا المكان

٤٠

فإن الموت والدمار يتبعانك ،

واسم أملك شؤم على أبنائها .

وإن فُت الموت فأعبر البحر

وعش مع ريتشموند بعيدا عن قبضة الجحيم :

هيا ، انج بنفسك . انج من هذا المحزر

٤٥

حتى لا يزيد بك عدد الموتى ،

فتظفر بى لعنة مارجريت

وأمرت لا أما ولا زوجا ولا ملكة من ملكات إنجلترا .

ستافل

: تلك نصيحة سديدة يا مولاتى .

(إلى دوست) هيا لا تضع وقتا ، وسأكتب إلى ولدى (١)

٥٥

ليلقاك فى طريقك ويرحب بك ،

فلا تبطى واحذر عواقب التأخير .

الدوقة

: أى ربح الشقاء المشؤومة ،

أى رحمى الرحيم يا مهد الموت ،

لقد أخرجت إلى الحياة أفعوانا ،

٥٥

تقضى عيناه القاتلتان على من ينظر إليهما .

ستافل

: هيا يا سيدتى ، هيا

فقد أمرت أن أعود بك على عجل .

آن

: سأذهب راغمة كارهة .

وددت لو جعل الله تلك الحلقة الآسرة من الذهب

تلك التى ستطوق جبينى حديدا متوهجا يشوى رأسى

حتى الصميم

٦٠

وددت لو نضجت بسم قاتل بدلا من الزيت المقدس

فأمرت قبل أن يقول الناس : عاشت الملكة !

(١) ريتشموند ولد وزوجته وولده بحكم العرف الإنجليزى .

الملكة إلزابث : اذهبي ، اذهبي أيها البائسة فما أنفك عليك مجدك ،

وليس عليك أن تتمنى لنفسك الضر مجارة لى.

٦٥ آن : ولم لا ؟ لقد كنت أسير وراء جثمان هنرى

حين جاءنى من هو الآن زوجى ،

ولما تكد الدماء نزول عن يديه ،

تلك الدماء التى فاضت من زوجى الآخر الطاهر ،

ومن ذلك القديس الغالى الذى كنت حيثئذ

أسير باكية وراء جثمانه . وحين رأيت وجهه ٧٠

استنزلت عليه اللعنات قائلة :

« فلتحل عليك اللعنة كما جعلتنى

أرملة فى ريعان شبابه ،

وإذا ما تزوجت فليلازم الحزن فراشك ،

ولتشق زوجك معك — إن وجدت من ترضى بك — ٧٥

كما أشقيتنى بموت زوجى العزيز » .

ولكن سرعان ما أسرت كلماته المعسولة

قلب المرأة الغرّ ؛

ولما أستنزل عليه اللعنة مرة أخرى .

وهكذا تحقت على لعنتى . . . ٨٠

فلم يغمض لى جفن بعد ذلك ؛

ولم تهبط على في فراشه ساعة واحدة
من ندى النوم الذهبي ،
بل ظل يؤرقني بما كان ينتابه من أحلام مفزعة .
وهو إلى ذلك يبغضني من أجل أبي وريك ،
ولا ، يب أنه سيتخلص مني سريعا .

٨٥

الملكة إلزابث : وداعا أيتها المسكينة ! إنني أرثي لبلواك .

آن : إن حزني لمصيبتك لا يقل عن رثائك لي .

الملكة إلزابث : وداعا يا من تستقبل المجد بالحزن والأسى !

آن : وداعا أيتها المسكينة يا من هجرها المجد !

الدوقة : (إل دورست) — اذهب إلى رتشموند — صحبك اليمين !

(إل آن) — واذهي أنت إلى رتشارد — رعتك الملائكة !

(إل الملكة إلزابث) واذهي أنت إلى حمى الكنيسة

أنزل الله على نفسك السكينة !

أما أنا فساذهب إلى قبري حيث يرقد معي السلام

والطمأنينة !

لقد شهدت ثمانين عاما نكراء من الأحزان^(١) ،

٩٥

وقاسيت لقاء كل ساعة من الفرح سبعة أيام من الحزن .

(١) عاشت الدوقة يورك ثمانية وستين عاما ليس غير ولكن أحزان الموقف تنمى

الدقة التاريخية .

الملكة الزابث : ابقى قليلا ، وألقى نظرة معى إلى البرج .
 أيتها الأحجار العتيقة ارحمى هذين الطفلين الرقيقين
 اللذين ألقى بهما الحسد والبغضاء بين أسوارك !
 أيتها المهد الحشن هذين الجميلين ،
 أيتها الخاضنة الغليظة .
 أيتها الرفيق العبوس للأميرين الغضين ، رفقا بولدى !
 والآن أستودعك الله فى أسى واله أيتها الأحجار العتيقة .
 (تخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الثاني

لندن - القصر

(صوت أبواق - يدخل رتشارد في أهبة الملك وعلى رأسه التاج ومعه بكنجهام وكاتسبي وصيف وآخرون)

الملك رتشارد : ابتهدوا جميعا - بكنجهام يا ابن العم !
 بكنجهام : مليكي الجليل !
 الملك رتشارد : أعطني يدك (يصعد على العرش) بفضلك أرقى هذا المجلس السامي وبعونك

يجلس الملك رتشارد على العرش .
 ولكن ترى أيعيش هذا المجد يوما واحدا ؟
 أم يدوم ونسعد به ؟
 بكنجهام : ليعش هذا المجد وليدم إلى الأبد !
 الملك رتشارد : أي بكنجهام ، الآن امتحن معدنك لأرى إن كان حقا من الذهب .

إن إدورد الصغير ما زال على قيد الحياة .
 أتستطيع أن تحبس ما أريد أن أقول ؟

- بكنجهام : فلتقله يا مولاي العزيز .
- الملك رتشارد : عجباً يا بكنجهام أقول إني أريد أن أكون ملكاً .
- بكنجهام : ولكنك ملك يا مولاي الأجل !
- الملك رتشارد : ها ! أنا ملك ؟ أجل ، ولكن إدورد ما زال حياً .
- ١٥ بكنجهام : أميراً نبيلاً مخلصاً .
- الملك رتشارد : يا له من نذير شؤم أن يظل إدورد حياً « أميراً نبيلاً مخلصاً »
- يا ابن العم إنك لم تعودني أن تكون هكذا بطيء الفهم ؟ أنتحدث بجلاء ؟
- إني أريد أن يموت ولدا الزنا هذان ، وأحب أن يتم ذلك سريعاً ؛ فماذا تقول الآن ؟
- ٢٠ هيا - تكلم سريعاً ولا تبطئ .
- بكنجهام : تستطيع جلالتك أن تفعل ما تحب .
- الملك رتشارد : صه ، صه . إنك بارد كالثلج . إن ودك قد تجمد . قل ، أتوافق على أن يموتا ؟
- بكنجهام : مولاي العزيز ، أعطني متنفساً من الوقت ، مهلة قصيرة قبل أن أجيب إجابة حاسمة عن هذا السؤال :
- ٢٥ وسأنبئ جلالتك سريعاً برأيي .
- (يخرج)

كأتسى : (إلى أحد الحضور على انفراد) إن الملك غاضب . انظر كيف يعرض شفته .

الملك رتشارد : سأشاور القساة من الحمقى

والمندفعين من الرجال ؛ (يهبط من عرشه)

فليس لى شأن بأصحاب التبصر والروية :

٣٠

لقد أصبح بكنجهام البعيد الأطماع حريصا مترددا .
يا غلام

الوصيف : مولاي ؟

الملك رتشارد : أو تعرف أحدا يستطيع بريق الذهب

أن يغريه بارتكاب جريمة قتل فى الخفاء ؟

٣٥

الوصيف : أعرف يا مولاي سيدا ساخطا ،

من أولئك الذين لا يتناسب فقرهم وما لديهم
من طموح ،

ولا شك أن الذهب سيكون عنده أبلغ من
عشرين خطيبا ،

وسيفريه بأن يفعل أى شىء

الملك رتشارد : ما اسمه ؟

الوصيف : اسمه ، يا مولاي ، تيرل .

٤٠

الملك رتشارد : لقد سمعت عنه — اذهب وادعه إلى هنا يا غلام .
(يخرج الوصيف)

لن يكون بكنجهام الأريب الماكر
 مشيرى بعد الآن .
 أو قد طال نضاله من أجلى إلى هذا الحد
 حتى يطلب الآن متنفسا . فليكن !
 (يدخل ستانلى)

٤٥

ما وراءك يا لورد ستانلى !

ستانلى

: سمعت يا مولاي العزيز
 أن المركيز دورست قد فرّ إلى ريتشموند
 حيث يقيم فى الجانب الآخر من البحر .
 (يقف جانبا)

٥٠ الملك رتشارد : إدن منى يا كاتسبى ، أذع فى الناس

أن زوجى آن مريضة ، مشرفة على الموت .
 وسأمر ألا يزورها أحد ،

ثم ابحث لى عن رجل مسكين حامل النسب ،
 لأزوجه فى الحال من ابنة كلارنس ،

أما ولده فإنه أحرق لا أخشى منه شرا .

٥٥

مالك تقف هكذا كالحالم ؟ هأنذا أكرر
 ما قلته لك ،

أذع إن زوجى مريضة مشرفة على الموت

هيا ! فلانى مهمم بأن أحطم كل أمل
فى أن يلاحق بى ضرر فى المستقبل . (كاتسبى يخرج مسرعا)

ولا بد لى أن أتزوج ابنة أخى
وإلا فسيظل ملكى مستقرا على زجاج هش .
أقتل أخويها ثم أتزوجها !

يا لها من سبيل إلى الظفر مخفوفة بالخاوف !
ولكنى قد انغمست الآن فى الدماء ،
ولا بد أن تدفع الخطيئة إلى الخطيئة ،
ولا مكان لدموع الرحمة فى عيني .

(يعود الوصيف مع تيرل)

أو اسمك تيرل ؟

تيرل : جيمز تيرل — خادمك المطيع .

الملك رتشارد : أحقا أنت كذلك ؟

تيرل : إختبرنى يا مولاي الكريم .

الملك رتشارد : أتجرؤ أن تقتل أحد أصدقائى ؟

تيرل : ٧٠ : لى لأؤثر فى سبيل مرضاتك أن أقتل اثنين من أعدائك .

الملك رتشارد : لقد نطقت بما فى نفسى — عدوان لدودان

يقضآن راحتى ويزعجان نوى الهادئ .

وهما اللذان أريد منك أن تقتلهما يا تيرل .

- أعنى ولدى الزنا هذين اللذين يقيمان فى البرج .
 ٧٥ تيرل : دعنى أدخل إليهما
 فأجنبك سريعا مخافتهما .
- الملك رتشارد : إن حديثك كالغناء العذب — اسمع ، ادن منى يا تيرل
 خذ هذا الإذن منى هيا وأعرنى سمعك ،
 (يمس إليه)
 هذا كل ما هناك . قل إنك ستفعل ،
 أكافئك بمودتى ومالى .
- تيرل : سأفعل يا مولاي فى الحال .
- الملك رتشارد : أنسمع خبرامناك يا تيرل قبل أن نأوى إلى الفراش ؟
 ٨٠ تيرل : أجل يا مولاي .
 (يخرج) (يعود بكنجهام)
- بكنجهام : مولاي — لقد فكرت فيما عرضته على أخيرا .
- الملك رتشارد : دعك منه — لقد فر دورست إلى ريتشموند .
- بكنجهام : لقد سمعت بالنبأ يا مولاي .
- الملك رتشارد : إنه ريتشموند ابن زوجاك يا ستانلى فتدبر الأمر .
- بكنجهام : مولاي — إني أطلب مكافأتى :
 التى أقسمت بالله وبشرفك أن تكون لى :
 ولاية هيرفورد ومتاع الملك

الذى وعدتني به .

٩٠

الملك رتشارد : راقب زوجك يا ستانلى

فستكون مسئولاً إن هى كتبت إلى ريتشموند .

بكنجهام : ماذا تقول جلالتك فى مطلبى العادل ؟

الملك رتشارد : إني أذكر أن هنرى السادس

قد تنبأ لريتشموند ،

٩٥

وهو بعد طفل ساذج ، أنه سيصير ملكاً

ملكاً ! ربما . . ربما

بكنجهام : مولاي !

المرتشارد : كيف لم يستطع ذلك المتنبي أن يتنبأ لي

وقد كنت حاضراً ؟ إني سأقتله .

١٠٠

بكنجهام : مولاي ، وعدك بلقب الولاية . .

الملك رتشارد : ريتشموند ! حين كنت آخر مرة فى إكستر

أراد العمدة أن يحتفى بي فأراني القصر وقال إن

اسمه « روجمونت »

وقد فزعت حين سمعت هذا الاسم

إذ كان عراف أيرلندي قد أنبأني ذات مرة ؛

١٠٥

أني لن أعيش طويلاً بعد أن أرى ريتشموند .

بكنجهام : مولاي

- الملك رتشارد : نعم — كم الساعة ؟
 بكنجهام : إني أجرو فأذكر جلالتك
 بنوعدك الذى وعدتني .
- ١١٠ الملك رتشارد : نعم ، لكن كم الساعة ؟
 بكنجهام : توشك أن تدق العاشرة .
 الملك رتشارد : دعها تدق .
 بكنجهام : لم تقول هذا ؟
 الملك رتشارد : لأنك ، كشخص الساعة ، تدأب على التآرجح
 بين توسلك وما أنا مستغرق فيه من التفكير .
 ١١٥ وليس بي اليوم رغبة فى العطاء .
 بكنجهام : فهلا تفضلت فأرحت بالى وأجبتنى إلى طلبى .
 الملك رتشارد : إنك تضايقتنى . ليس بي اليوم رغبة .
 (يخرج الجميع ما عدا بكنجهام)
 بكنجهام : أهكذا يجزىنى عن خدماتى المخلصة بمثل هذا الازدراء ؟
 ألهذا جعلته ملكا ؟
 فليكن لى عبرة فى مصرع هيستنجز ولأرحل إلى
 ١٢٠ « بركنوك »^(١)
 قبل أن يهوى رأسى الملىء بالخاوف .
 (يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

المنظر نفسه

(يدخل تيرل)

تيرل

: لقد تمت الفعلة الأثيمة ،

أبشع ما اقترفته هذه اليد

من مذابح مفجعة ،

لقد بكى ديتون وفورست .

اللذان عهدت إليهما اقتراف تلك المجزرة الفظيعة ؛

بكيا كالأطفال ، وذابا من الرحمة والعطف ،

وهما يقصان على " ما فعلا .

رغم أنهما وغدان ضاريان ككلاب الصيد .

« وقال ديتون : انظر ! هكذا كان ينام هذان

الطفلان الوديعان »

« وقال فورست : هكذا ، هكذا . متعانقين .

بأذرعهما المرمرية البريئة :

وكانت شفاههما ، كوردات أربع على أعوادها ،

تقبل كل أختها ، وقد خلع الصيف عليها جماله .

- وكان على وسادتهما كتاب صلاة ،
 وقد أوشكت أن أتحوّل عن عزى ، ١٥
 حين رأيت أحدهما . ولكن يا للشيطان . . «
 وهنا توقف الشرير
 على حين واصل ديتون الحديث قائلاً :
 « وهصرنا غصن أكمل ما أبدعته الطبيعة منذ
 أقدم العصور »
 وامتلات نفسيهما بالحسرة والندم ، ٢٠
 فلم يستطيعا أن يفيضا في الحديث .
 وهكذا تركتهما لأحمل النبأ إلى الملك السفاح .
 وها هو ذا قد أقبل .
 (يدخل الملك رتشارد)

سلاماً أيها الملك

- الملك رتشارد : عزيزى تيرل ! ألدبك من الأنبياء ما يسعدنى ؟
 ٢٥ تيرل : إن كان يسعدك اقتراف ما أمرتنى به ،
 فأنت تستطيع أن تسعد ؛ إذ قد تم ما أردت
 يا مولاي .
 الملك رتشارد : ولكن هل تحققت بنفسك من موتهما ؟
 تيرل : أجل يا مولاي

الملك رتشارد : ودفنا يا عزيزى تيرل ؟

تيرل : لقد دفنهما قسيس البرج ،

ولكنى لا أعلم عن يقين كيف ولا أين . ٣٠

الملك رتشارد : تعال إلىّ يا تيرل ، بعد العشاء .

فقص على كيف قتلا ،

ولا يخامرك شك فى أنى سأجزيك ، وأحقق لك أمانيك .

فإلى اللقاء بعد حين .

٣٥ تيرل : إنى لأرجو خاشعاً أن تأذن لى بالخروج .

(يخرج)

الملك رتشارد : لقد حبست ولد كلارنس بمعزل عن الناس ،

وزوجت ابنته ، فى غير ما تورع ، لغير كفو ،

بينما ينام ولدا إدورد فى أحضان الموت .

وقد ودعت زوجى آن هذه الحياة الدنيا .

والآن فلاذهب إلى ابنة أخى إلزابث الصغيرة ٤٠

خطيبا موقفا سعيدا .

فإنى أعلم أن ريتشموند — فى مقامه ببريتانى —

يفكر فى زواجها ليستطيع بهذا الصهر

أن يتطلع فى اعتزاز إلى التاج .

(يدخل كاتسي)

كاتسي : مولاي
 ٥ : الملك رتشارد : بأخبار طيبة، جئت هكذا فجأة، أم بأخبار سيئة ؟
 كاتسي : سيئة يا مولاي . فقد فرَّ «إيلي» إلى ريتشموند،
 وعبأ بكنجهم قواته ، يعينه رجال ويلز الأشداء ؛
 ولا تزال قوته في ازدياد .

الملك رتشارد : إن إيلي وريتشموند يثيران قلتي ،
 أكثر مما يثيره بكنجهم وجيشه ، هذا الذي
 أعدّه على عجل .

هيا — فإن التدبير الملىء بالخبين ،
 خادم أمين للتسويق الأحق ،
 والتسويق يقود إلى العجز الذي يمضي في بطل
 كالسلاحفة .

فلتكن السرعة الحافظة جناحي ؛
 سرعة رسول « جويتر » لتعلن مقدم الملك !
 إن درعي هو مشيري — فهيا اجمع لنا رجالا ،
 فما ينبغي أن نضيع وقتنا ، والحنونة في ساحة المعركة .
 [يخرجان]

الفصل الرابع

المنظر الرابع

أمام القصر

(تدخل الملكة مرجريت)

الملكة مرجريت : الآن أوشكت السعادة أن تبلغ أقصاها ،

وتسقط في فم الموت العفن .

لقد تربصت في معتزلى هذا

لأرقب أفول نجم أعدائى .

وهأنلى أشهد البداية المريرة .

وسأرحل إلى فرنسا راجية أن تكون الخاتمة مثلها ،

مرة : سوداء ، قاصمة

فلترحل الآن مرجريت الشقية . من القادم ؟

(تدخل الملكة إلزابث ودوقة يورك)

الملكة إلزابث : واحسرتاه على أميرى الصغير ! واحسرتاه على

طفلى الرقيقين !

يا زهرتى اللتين لم تمهلا حتى تنفتحا ، أى برعمى الغضين !

إن كان روحا كما الوديعان لا يزالان يطيران في الهواء ،
 قبل أن يدخلا إلى عالم الموتى الأبدى ،
 فأخفقا بأجنحتكما اللطيفة من حولي ،
 واسمعا نواح أمكما .

١٥ الملكة مرجريت : أخفقا حولها ، وقولا لها إن القصاص العادل
 قد أحال صباحكمما الوليد إلى ليل طويل .

الدوقة : لقد سلبتني المصائب الكثيرة صوتي
 حتى خرس لساني الذي أثقله الحزن ،
 أي إدورد بلانتاجنت ، لماذا مت ؟

٢٠ الملكة مرجريت : بلانتاجنت باء بدم بلانتاجنت !
 ومات إدورد قصاصا لموت إدورد .

الملكة إلزابث : رياه ، كيف تخليت عن ذينك الحملين الوديعين
 ورميت بهما في أحشاء الذئب ؟
 متى نمت ، يارب من قبل لتنام حين اقترف ذلك الإثم ؟

٢٥ الملكة مرجريت : حين قُتل هاري الطاهر ، وولدى العزيز .

الدوقة : أيتها العينان الكفيفتان ، أيتها الحياة الميتة .

يا شبحا لا يزال يعيش بين الأحياء ،
 يا صورة البؤس ويا خزي الحياة ، ويا من

يغتصب بقاؤك على قيد الحياة من القبر بعض حقه ،
 ياسجلا دوت فيه أيام الشقاء في اختصار وغموض ،
 أريحي نفسك المجهدة على أرض إنجلترا ، التي
 كانت ذات قانون ،

٣٠

فأصبحت — رغم القانون — مخمورة بدماء الأبرياء
 (تجلس)

الملكة إلزابث : آه أيتها الأرض ! لو أنك تقبلين على تهيئة القبور للناس ،

إقبالك على تهيئة مجالس الأحزان ،
 إذن لقبرت فيك عظامي ، بدلا من أن أريحها
 بجلستي هذه ،

آه ، أين من هو أجدر بالحزن مني !
 (تجلس)

الملكة مريچريت : إن كان لحزن أن يستمد من قدمه جلالا يفوق

٣٥

به سائر الأحزان .

فدعى حزني يأخذ المركز الأول ،
 لتكن لشكائي المكانة العليا ،
 وإن كان لحزن أن يجد رفقة في أحزان الآخرين ،
 (تجلس معها)

فانظرا إلى شقائى تجدا فيه شفاء كما .

٤٠ لقد كان لى إدورد^(١) حتى قتله رتشارد

وكان لك هارى^(٢) حتى قتله رتشارد

وكان لك إدورد^(٣) حتى قتله رتشارد

وكان لك رتشارد^(٤) حتى قتله رتشارد

الدوقة : لقد كان لى أنا كذلك رتشارد فقتلته أنت ؛

٤٥ ولا يزال لى « روتلاند »^(٥) وتأملين أن تقتليه .

الملكة مرجريت : لقد كان لك كذلك كلارنس وقتله رتشارد

لقد حبا ، من حظيرة رحمك ،

كلب من كلاب الجحيم ، يطاردا جميعا حتى الموت .

كلب نمت أنيابه قبل أن تتفتح عيناه ،

٥٠ ليمزق الحملان . ويلعق دماءها البريئة ؛

ويشوه ما صنع الله ويدنسه .

(١) ابن هنرى السادس .

(٢) هنرى السادس من زوجها .

(٣) إدورد الخامس .

(٤) دوق يورك الصغير .

(٥) روتلاند . Rutland

جبار في الأرض تذلل له العيون ،
 التي قرحها البكاء ، مما يجد أصحابها من أسي .
 لقد أطلقتته رحمتك ليطاردنا إلى قبورنا .
 أيها الإله البرّ ، العادل ، المنتقم ،
 كيف أشكرك إذ هيأت الكلب الظائم إلى الدماء ،
 لينقض على ما أخرجته رحم أمه من نسل ،
 فتشارك الآخرين أناتهم !

٥٥

الدوقة : أي زوج هاري ، لا تفرحي لبلواي ،

فالله يشهد لقد بكيت لبلواك .

٦٠

الملكة مرجريت : لا تضيق بي فلاني ظمأى إلى الثأر ،

وأنا الآن أتختم نفسي برؤيته .

لقد مات ولدك إدورد الذي طعن إدورد ولدي .

ومات إدوردك الآخر ، ليكفر عن موت ولدي إدورد .

ولم يكن يورك الصغير إلا مجرد تكملة للثأر ،

٦٥

فما كان كلاهما كفؤا لولدي الكامل .

ومات كلارنس الذي طعن ولدي إدورد .

أما هيستنجز الفاسق وريفرز وفوجان وجراي ،

أولئك الخونة الذين شهدوا تلك المأساة

٧٠

فقد ألقى بهم في ظلمات القبر قبل الأوان .
وما زال رتشارد على قيد الحياة ، رسولا للجحيم الأسود ،
أبقى عليه ليقبض له الأرواح ويرسلها إلى هناك .

ولكن ما يستحق من نهاية ألينة موحجة ، جد قريب .
إن الأرض لتنشق ، والجحيم يتلظى ، والشياطين تزار

٧٥

والقديسين يصلون ، ليعجل الله بالقضاء عليه .
يا رب يا كريم ، إني أبتهل إليك أن امح حياته
من كتابك حتى أعيش لأقول «لقد مات الكاب » ا

الملكة الزايت : أو اه ا لقد تنبأت لي بأن سيجيء وقت

أسألك فيه أن تعينيني

٨٠

على لعنة تلك العنكبوت المتورمة ،

وتلك الضفدع السامة الحدباء .

الملكة مرجريت : لقد قلت عنك حيثئذ إنك مظهر فارغ من عزى ،

ودعوتك ظلا شاحبا ومجرد صورة للملكة ،

وخيالاً لما كنته أنا ، في الحقيقة .

٨٥

وصفحة برآقة لمجد زائف .

وامرأة قذف بها إلى القمة لتسقط إلى الأعماق .

وأماً سخر منها القدر فرزقها مجرد وليدين ،

وحلما من ماضيك ،

وهواء ، وفقاعة ، لها من المجد مجرد الرمز ،
وراية مزوقة يسدد كل الرامين سهامهم إليها ،
ومملكة في مهزلة يتلهى بها الناس على المسرح .
أين زوجك الآن ؟ أين إخوتك ؟

٩٠

وأين ولدك ؟ أين سعادتك ؟
أين الذين كانوا يتوددون إليك ويهتفون لك
« عاشت الملكة » ؟

وأين النبلاء الخاضعون الذين كانوا يتملقونك ؟
وأين الجنود التي كانت تتبع ركبك ؟
تذكرى كل ذلك ، وانظري ما أنت عليه الآن .
لقد استمحل من زوج سعيدة إلى أرملة بائسة كل
البؤس ، ومن أم مريحة إلى امرأة يبكيها تذكري تلك الكلمة ،
ومن ملكة إلى أمة تاجها الشقاء .

٩٥

١٠٠

وبعد أن كان الناس يتوسلون إليك ، أصبحت
تتوسلين في ذل إلى الناس .
وبعد أن كنت تسخرين مني ، تسمعين الآن
سخرتي منك .

لقد أصبحت الآن تخشين بعض الناس بعد
أن كان الناس جميعاً يخشونك ،

ولم تعد لك طاعة على أحد بعد أن كان الجميع طوع أمرك.
هكذا دارت عجلة العدالة ،

١٠٥

وتركتك مجرد فريسة مسكينة للزمن ،
لا تملكين إلا ذكرى ماضيك ،

تزيد من عذابك كلما قارنتها بحاضرك .

لقد اغتصبت مكاني ، والآن ألت ترين
أن تغتصبي من حزني ما هو أجل من منزلة كبيرة ؟

١١٠

الآن يحمل جيدك الصلف نصف نيري الثقيل ،
وهأندي أزيح نصفه الآخر عن جيدى الضعيف
لأترك لك العبء كله .

وداعا يا زوج يورك ، يا ملكة المصائب الأئمة .
لسوف أبسم لهذه الكوارث الإنجليزية فى مقامى بفرنسا .

١١٥

الملكة إلزابث : كم أنت بارعة فى استنزال اللعنات .

فابقى قليلا لتعلمينى كيف أستنزها على أعدائى .

الملكة مريجريت : اسهرى الليل وصوى النهار ،

وقارنى بين السعادة التى ماتت ، والشقاء الذى
ما زال يحيا ،

وتخيلى ولديك أجمل مما كانا ،

١٢٠

وأن قاتلهما أشنع مما هو فى الحقيقة ،

فإنك حين تعظمين من شأن مصيبتك تزيدين
لعناتك سوءا .

وسيعلمك التفكير في ذلك كيف تستنزلين اللعنات .

الملكة إلزابث : إن كلماتي كلياة فزيديها مضاء وحدة بكلماتك .

١٢٥ الملكة مرجريت : سيجعلها شقاؤك حادة ماضية مثل كلماتي .
(تخرج)

الدوقة : لماذا نتشدد بالألفاظ عند حلول المصيبة ؟

الدوقة : إنها هواء ينفس عن أحزان أصحابها ،

وورثة الأفراح التي انقضت بلا إرث ،

وأنفاس تفصح عما في نفوسنا من شقاء !

١٣٠ فأفسح المجال لها ، فلئن كان ما تقدمه لا غناء فيه ،
فإن فيها مع ذلك راحة للقلب .

الدوقة : إن كان الأمر على ما تذكرين فلا تمجسى

لسانك إذن ،

ولتنطلق أنفاسنا معا بالألفاظ المريرة

لتخفق ولدى الرحيم كما خفق ولديك الحميلين .

١٣٥ إنى أسمع دقات طبوله ، فأفيضى في الحديث عن أساك .

(يدخل الملك رتشارد يسير على قرع الطبول وصوت الأبواق)

الملك رتشارد : من يقطع علينا طريقنا ؟
الدوقة : إنها تلك التي كان ينبغي لها أن تقطع عليك الطريق ؛

بأن تخنقك في رحمها الرحيم ،
فلا تقترف ما اقترفت من مذابح وتجلب ما جلبت
من مأس .

١٤٠ الملكة مرجريت : أغطي هذا الحبين بتاج ذهبي ،
وكان ينبغي - لو حق الحق - أن يكوى بالنار
لقتلك الأمير الذي كان هذا التاج من حقه ،
ولما أنزلت بولدى وإخوتي من ميتة قاسية .

نبئني أيها العبد الآثم - أين ولدای ؟
١٤٥ الدوقة : أيتها الضفدع ، أيتها الضفدع ،
أين أخوك كلارنس وابنه الصغير «ند»^(١) بلانتاجنت ؟

الملكة إلزابث : أين ريفرز الوديع ، وفاجان ، وجراي ؟
الدوقة : أين هيستنجز الرحيم ؟
الملك رتشارد : انفخوا في أبواقكم يا حملة الأبواق !

ودقوا طبولكم يا حملة الطبول ، حتى لا تسمع
السماء تلكما المرأتين النمامتين
١٥٠ وهما تحملان على من باركه زيتُ الله المقدس .

قلت لكم انفخوا — دقوا !

(أصوات أبواق وطبول)

إما إن تتجملا بالصبر وتحسنا الحديث إلى ،
أو أغرق صيحات شكواكما هكذا في موسيقى
الحرب الصاخبة .

: أنت ولدى ؟

١٥٥ الدوقة

: أجل ، بحمد الله . ولد أبي وولدك .

الملك رتشارد

: إذن فلتستمع إلى ما يعليه نفاذ صبرى فى شىء من الصبر

الدوقة

: سيدتى ، إن لى من طبعك نصيبا ،

الملك رتشارد

فلست أحتمل وقع التقريرع .

: أوه ! دعنى أتكلم !

الدوقة

تكلمى إذن فلن أسمع .

١٦٠

: سيكون كلامى رقيقا هادئا .

الدوقة

وسريعا يا أمى العزيزة ، فإنى فى عجلة ،

أو أنت فى عجلة ؟ يعلم الله ،

لقد بقيت طويلا من أجلك فى عذاب وألم وضنى .

: ثم ألم أولد لك فى النهاية لأكون سلواك ؟

١٦٥ الملك رتشارد

: كلا وحق الصليب المقدس . فأنت تعلم ، حق العلم ،

الدوقة

أنك جئت إلى الأرض لتجعل لى من الأرض جحيما

لقد كان مولدك عبثاً أليماً على ،
وكننت في طفولتك شكساً عنيدا ،

وكننت أيام دراستك مخوفاً ، نزقاً ، عنيفاً ، وحشياً الطبع ،
وفي أيام شبابتك مندفعاً ، مقتحمياً ، مولعاً بالمقامرة ،
وفي رجولتك صليفاً ، ماكرأ ، مخادعاً ، محباً للدماء .
ولئن كنت قد أصبحت أكثر رقة ، فلقد
أصبحت مع ذلك أكثر إيذاءً ،

تلقى على بغضائك ستارا من الرحمة .
فأى سلوى إذن تستطيع أن تزعم ، أنك قد
منحتني بصحبتك ؟

الملك رتشارد : لعمري ! إنها ليست إلا ساعة « همفري » (١)
التي ذهبت فيها لتناول عشائك فحرمت من صحبتي .
إن كانت رؤيتي تسوؤك إلى هذا الحد
فدعيني أمض حتى لا أسبب لك استياءً .
اقرعوا الطبول !

(١) اختلف النقاد في تفسير عبارة ساعة همفري اختلافاً شديداً ، والرأى المعقول أن شيكسبير استعمل هذه الكتابة البعيدة إشارة إلى أولئك المتسكعين الذين كانوا لا يستطيعون أن يشتروا طعامهم أو يتسولونه فكانوا يتسكعون في صحن كنيسة القديس بطرس حيث قبر بوشان ، الذي آمن العامة أنه قبر همفري . ومن هنا ضرب المثل يتمشون مع دوق همفري .

- الدوقة : سألتك إلا سمعت كلامي
- الملك رتشارد : إن كلامك ليفيض مرارة
- الدوقة : اسمع مني كلمة واحدة ، فلن أتحدث إليك بعدها مرة أخرى .
- الملك رتشارد : هكذا ؟
- ١٨٥ الدوقة : أجل ، فإما أن يقضى عدل الله أن تموت ، قبل أن تعود ظافرا من هذه الحرب .
- وإما أن يقضى على الحزن والشيخوخة فلا أنظر إلى وجهك مرة أخرى .
- فأحمل معك إذن أشد لعناتي ، فتؤودك يوم المعركة أكثر مما يؤودك كل ما تتدرع به من عدة كاملة .
- ١٩٠ وستقاتل دعواتي إلى جانب أعدائك ، ويهمس حينئذ روحا ولدى إدورد الصغيرين ، إلى أرواح خصومك يعدانهم بالنصر والظفر .
- إنك سفاح محب للدماء ، وبالدماء ستكون خاتمتك .
- ١٩٥ لقد كان العار تابعا في حياتك ، وسيصعبك ساعة موتك .

(تخرج)

الملكة إلزابث : إن لدى بواعث أقوى لكى أستنزل عليك
 اللعنات ، ولكنى مع ذلك أجد بنفسى عزوفا
 عنها . فحسبى أن أومن على جميع دعواتها
 ٢٠٠ الملك رتشارد : انتظرى يا سيدتى ، فلى معك كلمة .
 (يتحنى بها جانباً)

الملكة إلزابث : لئننى لم يعد لى أبناء من دم ملكى لتقتلهم .
 أما بناتى ، أى رتشارد ، فسيكن راهبات
 متبتلات
 لا ملكات باكيات ، فلا تسدد سهامك لتغتال
 حياتهن .

الملك رتشارد : إن لك ابنة طيبة جميلة تدعى إلزابث ،

نبيلة من دم ملكى

٢٠٥

الملكة إلزابث : أومن أجل هذا يجب أن تموت ؟

أواه ! دعها تعش وسأفسد خلقها ، وأشوه جمالها ،
 وأجلل نفسى بالعار ، فأزعم أنى خنت فراش إدورد ،
 وألقى على ابنتى قناعاً من الخزى ،
 لكى تعيش فى مأمن من المذبحة الدامية .

٢١٠

سأعلن أنها ليست ابنة إدورد .

الملك رتشارد : لا تظلمى نسبها فإنها من دم ملكى .

- الملكة إلزابث : سأقول إنها ليست كذلك لآمن على حياتها .
 الملك رتشارد : إنما نسبها هو خير أمان لحياتها .
 ٢١٥ : الملكة إلزابث : وبذلك الأمان وحده مات أخوها .
 الملك رتشارد : كلا فقد ولدا في ساعة نحس .
 الملكة إلزابث : كلا ، ولكن أصدقاء الشر كانوا نحسا عليهما .
 الملك رتشارد : إن القدر المكتوب لا مفر منه .
 الملك رتشارد : ذلك حق حين يكون تجنب الخير هو الذى يملئ القدر .
 ٢٢٠ : لقد كان من حق ولدى ميتة أكرم من تلك التى لقيها
 لو أن الخير منحك حياة أكرم ،
 الملك رتشارد : إنك تتحدثين إلى كما لو كنت قد قتلت ابني أخي!
 الملكة إلزابث : ابني أخيك حقاً ! وقد سلبهما عمهما
 سعادتهما ، وملكنهما ، وقرابتهما ، وحريةتهما ، وحياتهما .
 لقد كان تدبيرك من وراء تلك اليد التى طعنت
 قلوبهما الغضيين ،
 ٢٢٥ : ولا ريب أن السكين القاتلة
 كانت كليلة مثلومة .
 حتى أرهفت على قلبك الحجري ،
 لتعبث في أحشاء حملي الوديعين .
 على أن هذا الحديث المتصل عن الأسى يخفف من
 صراوته .
 ٢٣٠

فليسكت لسانى عن الحديث ، عن ولدى ، إلى أذنك ،
إلى أن تعلق أظافرى بعينيك ،
وأندفع فأتكسر بددا على قلبك الصخرى ،
كزورق بائس فقد أسابه ، وشراعه ،
فى بحر الموت الذى لا منجاة منه .

٢٣٥

الملك رتشارد : سيدتى ، فليكتب الله لى النجاح ، فيما أنا مقدم عايه ،
من مغامرة خطيرة وحرب دموية ،

بقدر ما أبتغى لك ولبناتك من خير ،
وأعزف عن أن ألحق بكن أى ضرر .

٢٤٠ الملكة إلزابث : ماذا يمكن أن يخفى وجه السماء من خير
تستطيع أن تكشف عنه لخيرى ؟

الملك رتشارد : رقى بناتك يا سيدتى العزيزة .

الملكة إلزابث : إلى بعض المشائق حيث تهوى رؤوسهن ؟

الملك رتشارد : بل إلى العزة ، والشرف الرفيع ،

وأعلى شارة من شارات المجد فى هذه الأرض . ٢٤٥

الملكة إلزابث : تملق أحزاني إذن وقل لى أى مكانة ،

وأى عزة وأى شرف

يمكن أن تمنحه لى بنت من بناتى ؟

الملك رتشارد : كل ما أملك ، حتى نفسى ،

٢٥٠

سأمنحها لإحداهن ،

حتى يغرق ، في بحر النسيان ، روحك المغضب

تلك الذكرى الحزينة

لما تعتقدين أنى اقترفته في حقلك .

الملكة إلزابث

: عجل إذن ، حتى لا يستغرق حديثك عن عطفك ،

أكثر مما يمكن أن يستغرق عطفك نفسه .

٢٥٥

الملك رتشارد

: إذن فاعلمى أنى أحب ابنتك من كل روحى .

الملكة إلزابث

: ولكن أم ابنتى تعتقد من كل روحها . .

الملك رتشارد

: ماذا تعتقدين ؟

الملكة إلزابث

: إنك تحب ابنتى حبا

٢٦٠

بعيدا كل البعد عن روحك ؛ كما أحبيت أخويها ،

ومن جل ذلك أشكرك شكرا بعيدا كل البعد عن قلبى !

الملك رتشارد

: لا تتعجلى وتسيئى فهم ما عنيت ،

لقد عنيت أنى أحب ابنتك بكل روحى ،

وأريد أن أجعلها ملكة لانجلترا .

الملكة إلزابث

: إذن فقل لى من هذا الذى تريده أن يكون

ملكا لابنتى ؟

٢٦٥

الملك رتشارد

: ذلك الذى سيجعلها ملكة . ومن غيره ؟

الملكة إلزابث

: ماذا ! أنت ؟

الملك رتشارد : نعم أنا . فما قولك يا سيدتى ؟
 الملكة إلزابث : وكيف تستطيع أن تكسب رضاها ؟
 الملك رتشارد : ذلك ما أريد أن أعلمه منك ،
 فأنت أعرفُ الناس بطباعها .

الملكة إلزابث : أتريد حقا أن تعلم منى ؟
 الملك رتشارد : من صميم قلبي يا سيدتى .
 الملكة إلزابث : إذن فأرسل إليها مع من قتل أخويها ،
 قليين داميين محفورا على أحدهما

٢٧٥

لإسم إدورد ، وعلى الآخر اسم يورك .
 ولعلها تبكى حينئذ . فأرسل إليها منديلا غمس
 في دم روتلاندا ،
 كما أرسلت مرجريت ، ذات مرة ، إلى أبيك ،
 وقل لها إنه أُشربَ عصارة الحياة الحمراء
 من جسد أخيها الجميل ،

٢٨٠

واسألها أن تجفف به دموعها .
 فلإن عجز هذا الإغراء عن استمالة قلبها إليك ،
 فأرسل إليها قصة أعمالك المجيدة ؛
 وأنبئها أنك قتلت عمها كلارنس ،
 وخالها ريفرز ، أجل ، ومن أجلها ، عجلت بموت
 عمها العزيزة آن .

٢٨٥

- الملك رتشارد : إنك تهزأين بي ، يا سيدتي .
- الملكة إلزابث : فليست هذه هي الطريقة التي بها أكسب رضى ابنتك .
- الملكة إلزابث : ليست هناك طريقة أخرى ،
- إلا أن تصبح إنسانا آخر ،
- غير رتشارد الذى اقترف كل هذا . ٢٩٠
- الملك رتشارد : سأقول إنى اقترفت كل هذا من أجل حبها ،
- الملكة إلزابث : كلا فإنها حينئذ لن تملك حقاً إلا أن تكرهك ،
- إذ اشتريت هذا الحب بذلك الإثم الدموى .
- الملك رتشارد : اسمعنى إن ما كان لا يمكن إصلاحه ،
- وسيفضل الناس يتصرفون أحياناً فى غير حكمة ٢٩٥
- ثم يندمون بعد حين على ما فعلوا .
- ولئن كنت قد انتزعت الملك من ولدك ،
- فلأعطينه لابنتك حتى أكفر عما فعلت .
- ولئن كنت قد قتلت ما أخرجت رحلك ،
- فسأنجب أبناءاً من ابنتك ، ٣٠٠
- من دمك لأزيد من نسلك .
- وليس اسم الجدة ، بأقل إثارة للحب
- من اسم الأم الجميل .
- وسيكون أحفادك ، كأبنائك ، وإن جاءوا من نسلك ،

وسيرثون عنك طباعك ودمك ؛
وسيجيء مولدهم مع ذلك المخاض الأليم نفسه ،
وستحتمل ابنتك من أجلهم تلك الآلام التي
احتملتها أنت ، عند مولدها .

لقد كان أبناؤك مثاراً لمتاعبك في شبابك ،
أما أبنائي فسيكونون عزاءً لك في شيخوختك .

إذك لم تفقدى إلا ابنتك الملك ،

وبهذا فقد ستصبح ابنتك ملكة .

إننى لا أستطيع أن أعوضك كما أحب ،
فاقبلى إذن ما أستطيع أن أمنحك من ود .
سيعود ابنك ، دورست ، سريعا إثر هذه
المصاهرة الحميلة ؛

من تلك الأرض الأجنبية ، التي يستشعر فيها الخوف ،

ويحيا فيها حياة غير راضية ،

إلى حيث المناصب العالية والمجد العظيم .

وسيدعوه الملك في غير كلفة « يا أخى (١) »

إذ يدعو ابنتك الحميلة « يا زوجى » .

(١) لأنه أخو زوجه .

وستكونين أنت مرة أخرى أم الملك^(١) .

وتصلح السعادة المضاعفة

ما قوضته مصائب الزمن .

عجبا إن أماءنا أياما كثيرة سعيدة سنشهدها .

وستعود إليك تلك الدروع المسفوحة التي أرقتها

بعد أن تستحيل إلى لآلئ من الشرق ،

فتكون قد أكسبتك

من السعادة ربحا مضاعفا .

اذهي إذن يا أماء إلى ابنتك ،

اذهي وانتزعيها ، بمالك من تجربة ، من شبابها الخجول ؛

وهي أذنيها لسماع قصة الغزل من خطيبها .

وألقي في قلبها الغص تلك الجذوة المتطلعة إلى الحكم المجيد .

حدثي الأميرة عن متع الزواج ،

وما فيه من ساعات حلوة هادئة .

وبعد أن تؤدب ذراعي هذه ،

ذلك الثائر الوضع ، بكنجهام ، الأحق ؛

سأعود مكلا بالغار ،

لأقود ابنتك إلى فراش الظافر الا ،

(١) لأنها أم زوجه .

- وسأقص عليها قصة نصرى ،
وستكون هى وحدها المنتصرة ، قيصرًا فوق قيصر !
٣٤٠ الملكة إلزابيث : ماذا أقول : أقول لها جاءك أخو أبيك خاطباً ؟
أو أقول لها عمك ؟
أو أقول لها من قتل أخويك وأخوالك ؟
بأى اسم يرضاه الله والقانون والشرف
وما فى نفسها من حب ،
يمكن أن أغرى شبابها الرقيق بقبولك ؟
٣٤٥
الملك رتشارد : قولى لها إن فى تلك المصاهرة سلامةٌ إنجلترة .
الملكة إلزابيث : وستشترىها هى بحرب مقيمة أخرى .
الملك رتشارد : قولى لها إن الملك ، الذى يستطيع أن يأمر ، يتوسل إليك .
الملكة إلزابيث : لتفعل ما حرمه ملك الملوكة ؟
٣٥٠ الملك رتشارد : قولى لها إنها ستكون ملكة عظيمة عزيزة .
الملكة إلزابيث : لتبكى هذا اللقب ، بعدُ كما تفعل الآن أمها ؟
الملك رتشارد : قولى لها إنى سأحبها حباً يدوم إلى الأبد .
الملكة إلزابيث : ولكن إلى متى يدوم ذلك اللقب ؟
الملك رتشارد : سيظل يستمد منها جمالا حتى نهاية حياتها الجميلة .
٣٥٥ الملكة إلزابيث : ولكن إلى متى تدوم حياتها الجميلة ؟
الملك رتشارد : إلى ما شاء الله وشاءت سنة الكون .

- الملكة إلزابث : إلى ما شاء الجحيم و شاء رتشارد !
 الملك رتشارد : قولى لها إني ، وأنا ملكها ، أعتبر نفسى أحد
 رعاياها المخلصين .
- الملكة إلزابث : ولكنها - - - وهى رعيتهك - تنفر من هذا الملك .
 ٣٦٠ الملك رتشارد : نمتى لها حديثك عنى .
- الملكة إلزابث : إن قول الحق ينبغى أن يكون بغير تنميق .
 الملك رتشارد : إذن فحدثها بغير تنميق حديث حبي ،
 الملكة إلزابث : إن قول الحق دون تنميق فيه كثير من القسوة .
 الملك رتشارد : إن حمججك ضحلة ، متسرة إلى حد بعيد .
 ٢٦٥ الملكة إلزابث : بل هى عميقة أعظم العمق ، ساكنة أعظم السكون ،
 كقبر ولدى المسكينين الساكن العميق !
- الملك رتشارد : لا تضربنى على هذا الوتر يا سيدتى ، فذلك شئ مضمئ .
 الملكة إلزابث : بل سأضرب عليه حتى تنقطع أوتار قلبى .
 الملك رتشارد : بحق القديس جورج وشارة فروسيته وتاجى . . .
 ٢٧٠ الملكة إلزابث : لقد دنست الأول ، وأخزيت الثانية ، واغتصبت
 الثالث
- الملك رتشارد : أقسم . . .
 الملكة إلزابث : لا تقسم شيئاً ، إذ ليس هذا بقسم .
 فإن القديس جورج الذى دنسته فقد قداسته ،

والشارة التي وصمتها بالحزى ، تخلت عن خلال
الفروسية الحميدة .

والتاج الذي اغتصبته أزرى بجلاله الملكى .

فإن كان لنا أن نصدق شيئاً تقسم به ،

فأقسم بشيء لم يصبه منك أذى .

الملك رتشارد : إذن أقسم بنفسى .

الملكة إلزابث : لقد أسأت إلى نفسك .

الملك رتشارد : الآن أقسم بالعالم ،

الملكة إلزابث : الملىء بأثامك الشريرة

الملك رتشارد : وممات أبى .

الملكة إلزابث : لقد جللت حياتك مماته بالعار .

الملك رتشارد : إذن أقسم بالله ،

الملكة إلزابث : إن إثمك فى حق الله أكبر آثامك .

فلو خشيت أن تحنث بقسمك الذى أقسمته به

لما انصدع ذلك الشمل الذى جمعه

أخوك الملك ، ولما قتل أخى .

ولو قد خشيت أن تحنث بقسمك الذى أقسمته به

لازدانت وجنتى ولدى الغضتين بذلك التاج

الملكى الذى يزين الآن مفرقك ، ولكن الأميرين

لا يزالان هنا ، يتنفسان أنفاس الحياة ،

بدل أن يكونا — كما هما الآن —

وسادتين رقيقتين للتراب ،

وفريستين للدود ، لحنثك بقسمك .

فبم تستطيع أن تقسم الآن ؟

بالمستقبل .

٣٩٠ الملك رتشارد :

الملكة إلزابث : الذى أثمت فى حقه بإثمك فى حق الماضى ؟

إن دموعى ستظل تذرف فى المستقبل

لما اقترفت من آثام فى ذلك الماضى .

فما زال الأبناء الذين قتلت آباءهم يعيشون ،

وسيبكون فى كهوتهم شبابهم المضيع .

٣٩٥

وما زال الآباء الذين قتلت أبناءهم يعيشون ،

كالنباتات الشائخة الذابلة .

يبكون مع شيخوختهم مصرع أبناءهم .

فلا تقسم إذن بالمستقبل ؛ فقد أسأت إليه

قبل أن تقدم إليه أى خير ، بما اقترفت فى الماضى .

٤٠٠

الملك رتشارد : فليكتب الله لى النجاح فيما أنا مقدم عليه من

حرب خطيرة مع الأعداء ،

بقدر نيتى الصادقة فى التوبة والفلاح .

ولتحل بى اللعنة ، ثم لتحل بى اللعنة ، وليكتب

الله والأقدار على الشقاء ،
 وليحجب النهار عن نوره ، والليل راحته ،
 ولتقف كل أبراج النحس في سبيل كل عمل آتية ،
 إن لم أمنح ابنتك الأميرة الجميلة حبي القلبي ،
 وإخلاصي الصادق ، وودي البريء !

٤٠٥

فهى قوام سعادتي وسعادتك ؛
 ومن دونها سيحل الموت ، والوحشة ، والخراب ، والدمار ،
 بهذه الأرض ؛ وبى وبك وبها ، وبكثير من
 المسيحيين الأتقياء .

٤١٠

ولا يمكن اتقاء هذا
 إلا بتلك المصاهرة
 ولن يُتقى من دونها .
 لذلك كوني لها يا أماء العزيزة

— ولا بد أن أدعوك بهذا الاسم — شفيع حبي ،
 وذكريها بما سأكون ، لا بما كنت ،
 وبما سأكون أهلا له ، لا بما أنا أهل له الآن .
 بصريها بما نحن فيه من حرج .

٤١٥

وبضرورة هذا الزواج ،
 ولا تجعلى لحبك الأحق الغلبة على جسام الأمور .

٤٢٠

- الملكة إلزابث : أأستجيب هكذا لإغراء الشيطان ؟
 الملك رتشارد : أجل إذا أغراك الشيطان بالخير .
 الملكة إلزابث : أأنسى نفسى لكى أرضى نفسى ؟
 الملك رتشارد : أجل إذا كان فى ذكرك لنفسك ظلم لنفسك .
 ٤٢٥ الملكة إلزابث : ولكنك قتلت ولدى !
 الملك رتشارد : ولكنى سأدفنهما فى رحم ابنتك ،
 حيث ينسلان فى ذلك العش التركى ^(١) من نفسيهما
 نفوسا تكون عزاءً جديدا لك .
 الملكة إلزابث : أأمضى لكى أكسب لك رضى ابنتى ؟
 ٤٣٠ الملك رتشارد : لتصبحى بذلك أمًا سعيدة
 الملكة إلزابث : سأذهب . وأكتب سريعا إلى فأنبثك برأيها .
 الملك رتشارد : احملى إليها قبلة من حبي الصادق (يقبلها) وإلى اللقاء
 (تخرج الملكة إلزابث)
 أيتها الحمقاء الغفور الساذجة المتقلبة !
 (يدخل راتكليف يتبعه كاتسبى)
 إليه ! ما وراءك من أنباء ؟
 ٤٣٥ راتكليف : مولاي الأجل هناك عند الساحل الغربى

(١) يشير شيكسبير بذلك إلى العش الخرافى فى بلاد العرب الذى أحرق فيه العتقاء فولدت بذلك عتقاء أخرى .

بمخر أسطول قوى ؛
وعلى شواطئنا يحشد كثير من أصدقائنا المترددين الجبناء
بغير سلاح ولا إرادة لصدّ ذلك الأسطول .
ويقال إنه بقيادة « ريتشموند »

وقد طوى أسرعته في انتظار مقدم بكنجهام ،
ليرحب بهم ويعيهم على النزول .

٤٤٠

الملك رتشارد : فليمض أحد أصدقائنا على جناح السرعة إلى

دوق نورفوك

وليكن أنت يا راتكليف أو كاتسبي . أين هو ؟

كاتسبي : هأنذا يا مولاي

الملك رتشارد : كاتسبي طر إلى الدوق !

كاتسبي : سأذهب بأسرع ما يمكن

(إلى راتكليف) وأسرع أنت إلى سالسبوري ،

٤٤٥

فإذا بلغتها . .

(إلى كاتسبي) أيها الوغد الغبي الأحمق ،

لم تقف جامدا هكذا بدل أن تذهب إلى الدوق ؟

كاتسبي : قل لي أولا يا مولاي الجليل

ما هي إرادتك السنية وماذا أبلغه عن جلالتك ؟

٤٥٠ الملك رتشارد : هذا حق يا عزيزي كاتسبي . قل له أن يجمع في الحال ،

أكبر قوة يستطيع جمعها ،
ويلقاني سريعا في سالسبورى

كاتسي : سأذهب . .
(يخرج)

- راتكليف : وماذا تريدنى جلالتك أن أفعل فى سالسبورى ؟
- ٤٥٥ الملك رتشارد : عجباً ، وماذا تستطيع أن تفعل قبل أن أذهب أنا هناك ؟
- راتكليف : لقد أهرتني جلالتك أن أسبقك إلى هناك ؛
- الملك رتشارد : لقد غيرت رأيي أيها السيد ،
(يدخل لورد ستانلى) ما لديك من أنباء ؟
- ستانلى : ليس لدى أنباء طيبة يسرك سماعها يا مولاي ؛
ولكنها ليست غايةً فى السوء . ومالى بدمن ذكرها .
- ٤٦٠ الملك رتشارد : يا له من لغز ! ليست طيبة وليست سيئة !
لم تكلف نفسك هذا الالتواء الطويل ،
على حين تستطيع أن تقول ما لديك ، بأقصر طريق ؟
مرة أخرى ، ما لديك من أنباء ؟
- ستانلى : إن ريتشموند على ظهر البحر .
- ٤٦٥ الملك رتشارد : فليغرق هناك ، وليركب البحر ظهره ،
ذلك الأفاق الرعديد ، ماذا يفعل هناك ؟
- ستانلى : لا علم لى يا مولاي الجليل إلا بالحدس .
- الملك رتشارد : قل ماذا تحددس ، ماذا تحددس ؟

ستائل : لقد حرضه دورست . وبكنجهام ، ومورتون

٤٧٠

على القدوم إلى إنجلترة ليطلب التاج لنفسه .

الملك ستائل : أو قد خلا العرش ؟ أو قد أغمد سيف الملك ،

أم مات الملك ، أم اختلت أمور الدولة ؟

من هناك على قيد الحياة من ورثة يورك غيرى أنا ؟

ومن ملك إنجلترة غير وارث يورك العظيم ؟

٤٧٥

قل لى إذن ماذا يفعل فى البحر ؟

ستائل : إن لم يكن لما قلت ، فلا أستطيع يا مولاي أن

أحدث سببا آخر .

الملك رتشارد : لا تستطيع أن تحدثس إلا أن هذا « الويلزى »

قد جاء ليكون مولاك ؟

٤٨٠

أخشى أن تنتفض وتفر إليه .

ستائل : كلا يا مولاي الجليل ، فلا تسيء فى الظن .

الملك رتشارد : أين إذن جيشك ليصيده ؟

أين أجراؤك وأتباعك ؟

أليسوا الآن على الشاطئ الغربى

ينزلون الثوار من سفنهم فى أمان ؟

٤٨٥

ستائل : لا يا مولاي العزيز . إن أصدقائى فى الشمال .

الملك رتشارد : أصدقاء فاترون لرتشارد ! ماذا يفعلون فى الشمال !

في حين ينبغي أن يخدموا ملكهم في الغرب ؟
 لأنهم لم يؤمروا بذلك يا مولاي الجليل ،
 إلاذن لي ، فأجمع أعواني ،
 وألتي جلالتك ،
 في أي مكان وزمان تحب .

ستانلي

٤٩٠

: نعم ، نعم ، لتذهب فتنضم إلى ريتشموند
 لن أثق بك أيها السيد .

الملك ريتشارد

: مولاي الأجل - ليس هناك ما يدعوك إلى الريبة
 في إخلاصي ،

ستانلي

٤٩٥

فما كنت يوما خائنا ، ولن أكونه .

: حسن - اذهب واجمع الرجال .

الملك ريتشارد

ولكن عليك أن تترك ابنك «جورج ستانلي» رهينة هنا .
 فإن لم تدم على ولائك كان رأس ابنك في خطر .

: فليكن جزاؤه بقدر إخلاصي لك .

ستانلي

(يخرج) (يدخل رسول)

: مولاي الكريم . بلغني من بعض الأصدقاء ،

الرسول

أن سير إدورد « كورثي » وأخوه الأكبر الصلف

أسقف « إكستر » مع أعوان كثيرين

قد حشدوا قواتهم في « ديفونشير »

(يدخل رسول آخر)

: مولاي ، لقد حشدت أسرة « جلفورد » جيشها

• • • الرسول الثاني

وفى كل ساعة يهرع إلى الثائرين
كثير من الأعوان ، وتزداد قوتهم .
(يدخل رسول ثالث)

الرسول الثالث : مولاي ، أن جيش دوق بكنجهام الكبير . .
١٠٠ • الملك رتشارد : أغربوا عن وجهي أيها الغربان !

لا شيء غير أغنيات الموت ؟ (يلطمه)
أخذ هذه حتى تجيئني بأنباء أطيب .

الرسول الثالث : إن الأنباء التي أحملها إلى جلالتك
هي أن السبول المفاجئة ، والأمطار الغزيرة
قد فرقت شمل جيش بكنجهام . ١١٥

وهام على وجهه وحيدا إلى حيث لا يعرف أحد .
الملك رتشارد : سألتك الصفح ! هاك كيسى ليشنى لطمتك .
هل أعلن أحد من أصدقائنا الحصفاء
عن جائزة لمن يأتي بالخائن ؟

٢٠ • الرسول الثالث : لقد تم ذلك يا مولاي .
(يدخل رسول آخر)

الرسول الرابع : بلغني يا مولاي أن سير توماس لوفل والمركيز دورست
قد حشدا قواتهما في يوركشير .
ولكنني مع ذلك أحمل أنباء أخرى تسر جلالتك .
فقد شتت العاصفة أسطول بريتانى .

وأرسل ريتشموند زورقا إلى شاطئ دورستشير^(١)

٥٢٥

ليسأل من هناك هل هم من أنصاره .

فكان جوابهم أنهم قد جاءوا

مع جيش بكنجهام لنصرته ؛

ولكنه لم يثق بهم ،

ونشر أشرعته ، وعاد إلى بريتاني .

٥٣٠

الملك رتشارد : إلى الأمام ، إلى الأمام ، مادمنا قدتهيانا للحرب !

إن لم يكن لقتال أعدائنا من الأجانب ،

فلكى نقضى على هؤلاء الثوار في أرض الوطن .

(يعود كاتسي)

مولاي - لقد قبض على دوق بكنجهام .

كاتسي

وهذا خير ما عندي من أنباء .

٥٣٥

ولكن لدى أنباء أخرى غير طيبة .

فقد نزل إيرل ريتشموند مع قوة كبيرة في «ملفورد»^(١) .

الملك رتشارد : إلى سالسبوري ! فربما تقرر هناك

مصير معركة فاصلة بينما نتحاور نحن هنا .

وليأمر أحدكم أن يحمل بكنجهام إلى سالسبوري

٥٤٠

وليمض سائرهم معي .

(أصوات أبواق . يخرجون)

(١) دورستشير Dorsetshire

(١) ملفورد Milford

الفصل الرابع المنظر الخامس

بيت لورد ستانلى

(يدخل لورد ستانلى وسير كريستوفر ايرسويك وهو قميس)

ستانلى : أى سير كريستوفر ، بلغ هذا عنى إلى ريتشموند
أن ابنى ، جورج ستانلى ، سجين
فى حظيرة ذلك الخنزير البرى السفاح
فاذا ثرت طاحت رأس جورج ،
وهذا ما يمنعنى أن أقدم إليه الآن ما فى طاقى من عون ؟
فامض أنت لسبيلك ، وبلغ سلامى لعظمته ،
وقل له إن الملكة قد وافقت من قلبها
على خطبة الملك لابنتها .

ولكن قل لى ، أين الأمير ريتشموند ؟

١٠ كريستوفر : فى «بمبوك» ، أو « هارفورد وست » ، فى « ويلز » .

دورست : ومن معه من أعلام للرجال ؟

كريستوفر : سير « ولتر هربرت » وهو محارب مغوار ،

وسير « جلبرت تالبوت » وسير « وليام ستانلى »

« وإيرل أكسفورد » و « إيرل بمبروك » ملقى الرعب
في القلوب .

« وسير جيمى بلنت » « وريس آب توماس » ، مع
جماعة من المقاتلين الشجعان .

١٥

وكثير غيرهم من ذوى الشهرة والقدر .

وهم الآن في طريقهم إلى لندن

إن لم يصددهم عنها أحد .

: عد إلى مولاك وأبلغه تحياتي ،

ستائل

وسيعرف رأيي من هذه الرسالة ،

٢٠

إلى اللقاء .

(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الأول

سالمسبوري — ساحة كبيرة

(يدخل قائد الشرطة وبكنجهام مع حملة الرياح في طريقه إلى الإعدام)

- | | |
|--|-----------|
| <p>بكنجهام : أيرفض الملك ريتشارد أن أتحدث إليه ؟</p> <p>القائد : أجل يا سيدى اللورد الكريم فتجمل بالصبر .</p> <p>بكنجهام : أى هيستنجز ، أى ولدى إدورد ، أى ريفرز وحرأى</p> <p>أيه الملك القديس هنرى ، وابنه الجميل إدورد ،</p> <p>أى فوجان ، أى جميع من أصابهم</p> <p>الظلم الدنىء والدسائس الخسيسة ،</p> <p>فلتسخر ، من مصرعى بدافع الانتقام ،</p> <p>أرواحكم الساخطة القلقة ،</p> <p>إن كانت تنظر الآن إلى من خلال السحب .</p> <p>أليس اليوم يا صاحبي يوم « جميع الأرواح »^(١) ؟</p> | <p>١٠</p> |
|--|-----------|

(١) يوم يحتفل فيه بذكرى الموتى .

الضابط : أجل يا سيدى

بكنجهام : إذن فهو يوم مصرعى .

إنه اليوم الذى سألت الله أمام الملك إدورد
أن يقضى علىّ فيه إن خنت أطفاله أو شيعة زوجه .

إنه اليوم الذى سألت الله فيه

١٥

أن تقتلى خيانة من أوليه كل ثقتى ،

إنه « يوم جميع الأرواح » لنفسى المرتاعة ،

إنه اليوم المحتوم

الذى تنهى فيه آثامى .

لقد قذف الله العليم بدعواتى الكاذبة

٢٠

على رأسى قصاصا من استخفافى به .

واستجاب فى جد لما سألته إياه فى عبث .

وهكذا يجبر سيوف الأشرار

أن تتحول أسننها إلى صدور أصحابها .

الآن حلت علىّ لعنة مرجريت الثقيلة حين قالت :

٢٥

« وسينفطر قلبك مما يصيبك به من أسى » .

ولسوف تذكر أن مرجريت كانت تحسن التنبؤ

هيا أيها الضباط امضوا بى إلى نطع العار ،

فالظلم لا يورث إلا الظلم ، والقتل يستتبع القتل .

الفصل الخامس

المنظر الثاني

المعسكر قرب تامورث Tameorth

(يدخل ريتشموند وأكسفورد وهربرت وآخرون بالطبول والأعلام)

ريتشموند : يا رفاق الحرب ، ويا أوفى الأصدقاء ،

يا من قرّحهم حمل نير الطغيان ،

لقد أبعدنا في أحشاء هذه الأرض

دون عائق ، وما نحن أولاء

قد تلقينا كتابا من أبينا^(١) ستانلي ،

فيه كثير من الطمأنينة والتشجيع .

إن ذلك الخنزير البري الشقي السفاح المقتصب ، ذلك

الذي نهب حصاد حقولكم الصيفي ، وكرومكم المثمرة ،

وأراق دماءكم الحارة كأنها مياه يغسل بها يديه .

(١) زوج أمه

واتخذ لنفسه حوضا من ماء صدوركم الصادية ،
 إن ذلك الخنزير القذر يقيم الآن — فيما بلغنا —
 في قلب هذه الجزيرة بالقرب من مدينة لستر ،
 وليس بين « تامورث » وتلك المدينة إلا مسيرة يوم .
 فسيروا باسم الله أيها الأصدقاء الشجعان ،

١٠

اتجنوا ، بمحنة حرب دموية واحدة ،
 ثمار السلام الدائم .

١٥

أكسفورد : إن ضمير كل منا يقوم في قتال ذلك السفاح
 مقام ألف سيف !
 هريرت : ليس لدى شك في أن أصدقاءه سينقلبون عليه
 وينحازون إلينا .

٢٠ بلنت : إنه لا أصدقاء له إلا أصدقاء الخوف .
 وسيهجرونه في أخرج ساعاته .

ريتشموند : إن كل شيء يُعيننا فباسم الله سيروا ،
 إن الأمل الصادق سريع يطير بجناحين ؛
 إنه يصنع من الملوك آلهة ، ومن العامة ملوكا .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

ساحة المعركة في بوسورث (Boworth)

(يدخل الملك رتشارد في سلاحه مع نورفوك وإيرل سري وآخرون)

الملك رتشارد : انصبوا خيامنا في هذا المكان . بل هنا في ساحة

بوسورث

أى سري ، لم تبدو هكذا عظيم الاكتئاب ؟

سري : إن قلبي أشد بهجة من وجهي بكثير !

الملك رتشارد : أى سيدى اللورد نورفوك !

نورفوك : لبيك مولاي الأجل !

الملك رتشارد : أى نورفوك ، لا بد لنا أن نلقى شيئا من اليأس ،

أليس كذلك ؟

نورفوك : لا بد لنا أن نعطي ونأخذ يا مولاي العزيز .

الملك رتشارد : هلا أقمت خيمتي ! فسأمضي هنا الليلة .

أما غدا ، فأين ؟ سيان .

ولكن دعونا من هذا . من منكم استطاع عدد الخوة ؟

١٠ نورفوك : ستة آلاف أو سبعة على الأكثر

الملك رتشارد : إيه . إن جيشنا يبلغ ثلاثة أمثال هذا العدد ؛
ثم إن اسم الملك قوة كالحصن وهي تنقص العدو .
أقيموا خيمتي هنا ، هيا أيها الرجال الشجعان ،
دعونا ندرس ساحة المعركة .

١٥

ادعوا بعض الرجال من ذوى الخبرة ،
وليكن النظام والسرعة رائدنا ،
فإن غدا أيها اللوردات سيكون يوما حافلا .

(يدخل من الجانب الآخر من الساحة ريتشموند وسيروليم براندون
واكسفورد وآخرون ينصب بعض الجنود خيمة ريتشموند)
ريتشموند : لقد غربت الشمس المنهكة . فى شفق ذهبي .
ونخلفت عربتها النارية وراءها
طريقا مؤتلقا يؤذن بغد مشرق .

٢٠

أى سيروليم براندون ، ستكون أنت حامل علمى .
اثتوا إلى خيمتى ببعض المداد والورق ،
لأرسم خطة المعركة التى سنخوضها وسيرها ،
وأحدد لكل قائد عمله .

٢٥

وأقسم بجيشنا الصغير قسمة مناسبة ،
أما أنت يا سيدى اللورد أكسفورد ، وأنت
يا سيروليم براندون^(١) :

وأنت يا سير ولتر^(١) هربرت ، فابقوا معي .

وليبق إيرل بمبروك^(٢) مع كتيفته .

وليحمل إلينا كابتن بلنت الكريم تحيتي ،

٣٠

ويبلغه أن يأتي إلى في خيمتي ،

في الساعة الثانية صباحا .

ولكن ، بقي شيء واحد يا عزيزي بلنت ،

تقوله لي قبل أن تذهب ،

أتعلم أين يعسكر اللورد ستانلي ؟

: إن فرقته — إن لم أكن أخطأت أعلامه ،

٣٥ بلنت

وما أظني فعلت ،

ترابط جنوباً على بعد نصف ميل على الأقل ،

من قوة الملك الحاشدة .

: إن استطعت دون أن تعرض نفسك للخطر ،

ريتشموند

أي بلنت العزيز ، فبلغه تحياتي

٤٠

واحمل إليه مني هذه الرسالة الخطيرة .

: قسما بحياتي لأفعلن يا مولاي .

بلنت

(١) ولتر هربرت Walter Herbert

(٢) بمبروك Pembroke

والآن طابت ليلتك !

رتشموند : طابت ليلتك يا عزيزى الكابتن بلنت .
 ٤ ٥ هيا أيها السادة ، دعونا نتدبر أمر الغد ،
 هيا ، ادخلوا إلى خيمتنا فالهواء بارد رطب .
 (يدخلون الخيمة)

(يدخل الملك رتشارد إلى خيمته مع نورفوك وراكليف وكاتسبي وآخرون)

الملك رتشارد : كم الساعة ؟
 كاتسبي : إنها ساعة العشاء يا مولاي ، التاسعة .
 الملك رتشارد : لن أتعشى الليلة .
 ٥ ٥ على " بيبعض المداد والورق .
 أصلحت خوذتى ،
 ووضع سلاحى جميعه فى خيمتى ؟
 كاتسبي : أجل يا مولاي . لقد أعدت كل شىء
 الملك رتشارد : أى عزيزى نورفوك ، أسرع إلى شأنك
 ٥ ٥ ولا تغفل عن الحراسة ، واختر حراسا تثق بهم .
 نورفوك : سأذهب يا مولاي
 الملك رتشارد : استيقظ غدا مع الطير يا عزيزى نورفوك .
 نورفوك : اطمئن يا مولاي .
 الملك رتشارد : كاتسبي !

كاتسبي : مولاي !

٦٠ الملك رتشارد : أرسل رسولا رسميا مسلحا
إلى كتيبة ستانلي ليسأله أن يقدم بقوته قبل مطلع
الشمس ،

وإلا سقط رأس ابنه جورج
في كهف الليل المظلم الأبدى . (يخرج كاتسبي)
املا لي قدحا من النبيذ ، وآتني بساعة^(١) ،
وأسرج جوادى الأبيض ، « سرى » لمعركة الغد .
وأعد لي رماحا سليمة غير بالغة الثقل . .
راتكلييف !

راتكلييف : مولاي ؟
الملك رتشارد : أرايت لورد نورثمبرلاند ذلك الكتيب^(٢) ؟
٧٠ راتكلييف : لقد كان يطوف بالجيش ساعة الغسق ،
هو وإيرل سرى ينتقل من فصيلة إلى فصيلة ،
ليستثير حماسة الجنود .

(١) المقصود بالساعة هنا شعة مقسمة إلى أقسام تحترق في وقت معلوم .

(٢) لورد نورثمبرلاند (Northumberland) سماه رتشارد الكتيب لأنه لم ينصر قضيته

الملك رتشارد

: هذا يرضيني . أعطني قدحا من النبيذ

فلاني ، على غير عادتي ، مثقل مهموم

ضعها . هل أعددت المداد والورق ؟

٧٥

راتكليف

: أجل يا مولاي .

الملك رتشارد

: 'مر حرسى أن يشددوا الحراسة . اتركوني الآن

وعد أنت يا راتكليف إلى خيمتي ، قرب منتصف الليل ،

لتعني على ارتداء دروعي . قلت لكم اتركوني .

(يخرج راتكليف ويدخل رتشارد إلى خيمته)

(يدخل دربي إلى ريتشموند في خيمته والنبلاء وغيرهم ماثلون في

حضرته .)

٨٠ دربي

: قام اليمين والنصر على خوذتك .

ريتشموند

: منحك الليل البهيم

كل راحته يا أبانا النبيل .

قل لي ، كيف حال أمنا الحبيبة ؟

دربي

: لقد سألتني أن أباركك عنها ،

٨٥

وهي تدعو دواما لريتشموند بالخير .

ولكن دعنا من هذا . لقد تسلفت الساعات في صمت

وبدأت الظلمات تتصدع في الشرق ،

وصفوة القول أن الوقت يقتضي

أن تعجل بالتأهب للمعركة في الصباح الباكر ،
وأن تتخذ من الطعنات الدامية والقتال المميت
حكما يقرر مصيرك .

٩٠

أما أنا فإني لم أقدم عندما كنت أستطيع ،
فكيف بي إذا كان ما أتمناه لا أستطيعه ؟
على أني سأتحين الفرصة للتحايل على الزمن
وآتي

لنجدتك في تلك المعركة التي لا يمكن أن يجزم
بنتيجتها أحد .

٩٥

وددت لو استطعت أن أجهر بمناصري لك .
ولكن أخشى أن ينكشف أمرى ،
فيقتل أخوك ، الغضب الإهاب ، جورج ، في
حضرة أبيه .

إلى اللقاء ، فإن ضيق الوقت وحرجه ، لا يسمحان
بإظهار آيات الود وعهوده ، ولا بالاسترسال
في تبادل الحديث العذب ،

١٠٠

الذي يتوق إليه صديقان افترقا طويلا
ألا فليمنحنا الله فسحة من الوقت ، نقيم فيها شعائر
الود هذه .

وأقول لك مرة أخرى ، إلى اللقاء . واتكن مقداما ،
وليكتب الله لك النصر .

ريتشموند

: أيها السادة الأعزاء رافقوه إلى كتيبتهم ،
وسأحاول — على ما بي من قلق — أن أختلس شيئا
من نوم خفيف ،

١٠٥

حتى لا يؤودني النوم الثقيل في الغد ،
على حين ينبغي أن أظير حينئذ بجناحي النصر .
ومرة أخرى أقول لكم طابت ليلتكم أيها النبلاء والسادة
الأعزاء .

(يخرجون ويركع ريتشموند) .

رباه ، يا من أعد نفسي قائد جنده ،

ارع ، بعينك الرحيمة ، جنودي :

١١٠

وضع في أيديهم سيوف غضبك القاطعة ،

ليسحقوا بضرباتها الثقال ،

خوذات أعدائنا الغاصبين :

وُطِّيحوا بها إلى الأرض

واجعل منا رسل عقابك لنحمدك عند النصر !

١١٥

إليك أسلم نفسي اليقظي ،

قبل أن يسدل النوم ستاره على عيني ،

فاحرسنى فى نومى ويقظتى .

(ينام) (يظهر شيخ الأمير إدورد ولد هنرى السادس بين الخيام)

: (إلى رتشارد) فلاجثمن على روحك غدا

الشيخ

١٢٠

أتذكر كيف طعننى فى ريعان شبابى فى توكسبرى ؟

فليحل بك اليأس والموت ، إذن !

(إلى رتشموند) تشجع أى ريتشموند ، فإن أرواح القتلى

من الأمراء المظلومين تقاتل معك ،

أنا ولد الملك هنرى ، جئت ألقى فى نفسك الطمأنينة .

(يختنق) (يظهر شيخ هنرى السادس)

: (إلى رتشارد) لقد أثخنت جسدى بطعناتك القاتلة

الشيخ

١٢٥

قبل أن أنتقل إلى دار الخلود .

فليحل بك اليأس والموت .

أنا هنرى السادس أبشرك باليأس والموت .

(إلى ريتشموند) أيها التقى الطاهر ، فليكتب لك النصر .

أنا هارى — الذى تنبأ لك بالملك —

١٣٠

جئت اطمئنك فى منامك . فامتعض واتسعد .

(يظهر شيخ كلارنس)

: (إلى رتشارد) فلاجثمن على روحك غدا .

الشيخ

أنا كلارنس المسكين الذى قتلته خيانتك ،

وغسلته في النبيذ الكثيف ،

اذكرني غدا في المعركة ،

١٣٥

وألق من يدك سيفك المثلوم ، وليحل بك اليأس والموت !

(إلى ريتشموند) أي سليل لانكستر ،

إن ورثة يورك ، الذين ظلموا ، يصلون من أجلك :

فلتحرصك في قتالك الملائكة الأخيار ! ولتعش ، ولتسعد !

(تظهر أشباح ريفرز وجرای وفوجان)

: (إلى رتشارد) فلا جثمان على روحك غدا !

١٤٠ شبح ريفرز

أنا ريفرز قتيل بومفرت ؛ فليحل بك اليأس والموت .

: (إلى رتشارد) اذكر جرای ، وليحل بروحك اليأس

شبح جرای

: (إلى رتشارد) اذكر فوجان ، ولتصبك خطاياك بخوف

شبح فوجان

يلقى رحلك من يدك ،

وليحل بك اليأس والموت .

: (إلى رتشموند) انهض ! واذكر أن ما اقترف رتشارد

الجميع

في حقنا من ظلم

١٤٥

يثوى في صدره ويهزمه . انهض واكسب المعركة .

(يظهر شبح لورد هاستنجز)

: (إلى رتشارد) أيها السفاح الأثيم ، انهض مثقلا بالإثم ،

الشبح

واختم أيامك في معركة دامية !

اذكر اللورد هيستنجز وليحل بك اليأس والموت
(إلريتشموند) أيتها النفس الراضية المطمئنة انهضى ،
انهضى !
وخذى سلاحك وقاتلى وانتصرى من أجل إنجلترة
العزيزة

(يختفى) (يظهر شبحا الأمير بن الصغيرين)

: (إل رتشارد) فلتعلم بولدى أخيك الصغير اللذين خنقا

الشبحان

فى البرج :

وانجثمن كالرصا ص الثقيل على صدرك أى رتشارد
ولنتقلنك حتى يحل بك الدمار والحزى والموت !
إن روحى ولدى أخيك يبشرانك باليأس والموت
(إل ريتشموند) أى ريتشموند - نم - نم - ، نم فى
سلام واستيقظ فى سرور وحبور
ولتحرسك الملائكة بين الأخيار من شر الخنزير البرى !
عش وأنجب نسلا سعيداً من الملوك ،
إن ولدى إدورد البائسين يطلبان لك التوفيق .

(يختفیان) (يطير شبح آن زوجه)

: (إل رتشارد) أى رتشارد - هذه زوجك ، زوجك

الشبح

الشقية ،

آن التي لم يغمض لها جفن معك ،
 تملأ الآن نومك بالقلق . اذكرني غدا في المعركة ،
 وليسقط سيفك المثلوم من يدك .
 وليحل بك اليأس والموت !

١٦٥

(إل ريتشموند) أيها الروح المطمئن نم في سلام :
 واحلم بالنجاح والنصر السعيد !
 إن زوج خصمك تدعو لك .

(يظهر شبح بكنجهام)

الشبح

: (إل ريتشارد) لقد كنت أول من أعانك لتظفر بالتاج ،
 وكنت آخر من ذاق طعم طغيانك :

١٧٠

إليه ، فلتذكر في المعركة . بكنجهام ،
 ولتمت رعبا مما تجده في آثامك !
 احلم ، احلم بخطاياك الدموية وبالموت .
 ولتصبك غشية تدفعك إلى اليأس ، ولتلفظ في يأس
 آخر أنفاسك .
 (إل ريتشموند) لقد مت من اليأس قبل أن أستطيع
 خدمتك .

لكن لا تبتس وتشجع !
 إن الله ، وملائكته الأخيار ، يقاتلون في صف
 ريتشموند ؟
 وسيهوى رتشارد من علياء مجده (يختن) .

(يستيقظ رتشارد من حلمه)

الملك رتشارد :

على بجواد آخر ! ضمدوا جراحى !
 رحماك يا عيسى ، رفقا لقد كان مجرد حلم !
 أيها الضمير الوجل ، كما تعذبني !
 إن الشموع ترسل لها أزرق^(١) ، إننا الآن في
 منتصف الليل ،
 لقد غطت قطرات العرق الباردة الوجلة جسدى
 المرتجف ،
 ولكن من أنخاف ؟ نفسى ؟ فليس هنا أحد غيرى
 إن رتشارد يحب رتشارد ، إني أنا هو أنا ،
 أهنا من يريد أن يغتالني ؟ كلا أجل إنه أنا . .
 إذن فلاأهرب . ولكن أأهرب من نفسى ؟ يا له من
 سبب ! ولماذا . . .

(١) - كان ذلك عندما بنى وجود أرواح في المكان .

لكى لا أنتقم منها ؟ ولكن أنتقم نفسى من نفسى ؟
وأسفا إني أحب نفسى . ولم ؟

ألاى خير قدمته نفسى لنفسى ؟ .
أواه لا . وا أسفى بل ينبغى أن أبغض نفسى
لما اقترفته من آثام .

١٩٠

إني شرير ولكنى أكذب وأزعم أنى لست كذلك ،
أيها الأحمق أحسن الثناء على نفسك ،
أيها الأحمق لا تتصنع الثناء ! إن لضميرى
ألف لسان :

وكل لسان يحكى قصة :

١٩٥

وكل قصة تنطق بأنى شرير .
الخيانة ، الخيانة فى أبشع صورها ،
والقتل ، القتل الأثيم فى أقسى ألوانه .
جرائم مختلفة فى صور متعددة ،

تزدحم كلها فى ساحة القضاء وتصيح : مذنب ،
مذنب !

٢٠٠

ليس لى إلا اليأس فما من أحد يحبنى ،
وإذا مت فلن يأسى أحد لموتى .
أجل ولم يأسون ،

وأنا نفسي لا آسى لنفسي ؟
 لقد خيل إلى أن أرواح الذين قتلهم جميعا
 جاءت إلى خيمتي ؛
 وتوعد كل منها بالانتقام
 ينصبّ غدا على رأس رتشارد .
 (يدخل راتكليف)

٢٠٥

- راتكليف : مولاي !
 الملك رتشارد : رباه ! من هناك ؟
 ٢١٠ راتكليف : إنه أنا يا مولاي . لقد حياديك القرية الصباح مرتين ،
 ونهض أصدقاؤك ولبسوا دروعهم
 الملك رتشارد : لقد رأيت حلما مزعجا
 أتعتقد أن أصدقاءنا سيثبتون جميعا على ولائهم ؟
 راتكليف : بلا ريب يا مولاي
 ٢١٥ الملك رتشارد : أي راتكليف إنى أخاف . . . أخاف . . .
 راتكليف : لا يا مولاي العزيز ، لا تخف من أشباح :
 الملك رتشارد : وحق « بولس القديس » لقد ألفت الأشباح
 الليلة في قلب رتشارد
 من الرعب ما لا يستطيع أن يلقيه عشرة آلاف
 مقاتل ، في الحقيقة .

مسربلين فى الدروع المحكمة

يقودهم ريتشموند الأحق .

٢٢٠

إن النهار لم يقترب بعد ، فتعال معى

أسترق السمع بين خيامنا

لأرى أينوى أحد أن يخوننى

(يخرجان)

(يدخل النبلاء إلى ريتشموند وهو جالس فى خيمته)

: صباح الخير يا ريتشموند !

النبلاء

: معذرة أيها النبلاء والسادة اليقظون

٢٢٥ ريتشموند

إذ وجدتمونى هنا على تلك الحال من البطء والكسل .

: كيف كان نومك أى سيدنا اللورد ؟

النبلاء

: أعذب نوم ، وأيمن أحلام

ريتشموند

طافت برأس نائم ،

منذ أن غادرتمونى أى سادتى ، اللودات .

٢٣٠

لقد خيل إلى أن أرواح من قتلهم رتشارد

جاءت إلى خيمتى وبشرتنى بالنصر .

وإنى لأؤكد لكم أن البهجة تملأ نفسى

لذكرى ذلك الحلم الجميل .

كم بقى على مطلع النهار أيها السادة ، اللوردات ؟

٢٣٥

النبلاء

ريتشمونند

: إن الساعة توشك أن تدق الرابعة ،
: إذن فقد حان الوقت لنحمل سلاحنا ، ونهبي جنودنا
للمعركة ،

(خطبته في جنوده الذين تجمعوا حول خيمته)

أيها المواطنون الأوفياء، إن هذا الوقت الضيق الحرج
لا يسمح لي أن أقول أكثر مما قلت . ومع ذلك
فلتذكروا هذا :

٢٤٠

إن الله وقضيتنا العادلة يحاربان إلى جانبنا ،
ودعوات القديسين الأبرار والأرواح المظلومة تقف
أمام وجوهنا كالمعاقل المنيعه .
وإن من نقاتلهم — ما عدا رتشارد — يؤثرون
أن يكون النصر لنا

٢٤٥

على أن يكون لذلك الذى يقودهم .
ومن ذلك الذى يقودهم ، أيها السادة ،
غير طاغية قاتل سفاح ،
رجل نشأ في الدماء ، وأسس ملكه على الدماء .
رجل يتخذ كل وسيلة للوصول إلى ما يريد .
ثم يقتل كل من كانوا وسيلته إلى غايته .
حجر خسيس جعله عرش إنجلتره نفيسا ،

٢٥٠

ذلك العرش الذى يجلس عليه بدون حق .
رجل كان دائماً عدواً لله .

فإن حاربتموه فسيرعاكم الله
بعدله كما يرعى جنده ،

٢٥٥

وإن جهدتم الآن لتقضوا على طاغية ،
فستنامون بعد فى سلام حين يقتل ذلك الطاغية .

وإن حاربتم الآن عدو بلادكم ؛
فسيكون من خير بلدكم لجهدكم أجزل الأجر .

٢٦٠

وإن حاربتم لتحملوا نساءكم ،
فإن نساءكم سيرجن بعودتكم ظافرين .

وإن حررتم أطفالكم من حكم السيف ،
فسيجزىكم أحفادكم فى شيخوختكم .

فباسم الله إذن ، وباسم هذه الحقوق جميعاً ،
ارفعوا أعلامكم وأشهروا سيوفكم المتعطشة إلى القتال .

٢٦٥

أما أنا فستكون جثى الهامدة على وجه هذه
الأرض الباردة

فداء لمقصدى الجرىء .

على أنه إن قدر لى النجاح ونلت مقصدى ،
فسينال كل منكم — حتى أدناكم — نصيبه منه .

دقوا الطبول ، وانفخوا في الأبواق ، في شجاعة
واستبشار ؛

٢٧٠

الله والقديس جورج ! ريتشموند والنصر
(يخرجون) (يعود الملك رتشارد وراتكليف مع رفاق وجنود)

الملك رتشارد : ماذا قال نورثمبرلاند عن ريتشموند ؟
راتكليف : قال إنه لا خبرة له بفنون الحرب .
الملك رتشارد : لقد قال حقا . وماذا كان جواب سري ؟
الملك رتشارد ٢٧٥ : ابتسم ثم قال : ذلك خير لنا
راتكليف : لقد نطق بالصواب . فالحق أن ذلك خير لنا .
(تدق الساعة)

عدّ دقائق تلك الساعة . أعطني تقويما . من
رأى منكم الشمس اليوم ؟

راتكليف : إني لم أرها يا مولاي
الملك رتشارد : إذن فهي تأتي أن تشرق ،

فقد كان ينبغي حسب التقويم أن تكون قد
أشرقت منذ ساعة

٢٨٠

ليكونن يوما أسود عند بعض الناس ! راتكليف !
راتكليف : مولاي ؟

الملك ريتشارد : لن تطلع الشمس اليوم .

فإن السماء تقطب في وجه جيشنا وتطبق سحبها عليه .
وددت لو أن هذه الدموع الندية كانت من الأرض . ٢٨٥

لن تطلع اليوم !
وماذا يعنيني من هذا أكثر مما يعني ريتشموند ؟
إن تلك السماء التي تعبس في وجهي ،
تعبس كذلك في وجهه

(يدخل نورفوك متعجلا)

نورفوك : إلى السلاح ! إلى السلاح يا مولاي — فقد انتشر
الأعداء في ساحة المعركة . ٢٩٠

الملك ريتشارد : هيا — تحركوا تحركوا — أعدّ جنودى
ادع لورد ستانلى واسأله أن يقدم بقوته ،
وسأقود أنا جنودى إلى السهل حيث أدير المعركة ،
وسأعنيّ طليعتي في خط واحد طويل
من الفرسان والمشاة على السواء ؛ ٢٩٥
وسيكون رماتنا في الوسط .
وسيقود دوق نورفوك المشاة ؛
ويقود الفرسان توماس إيرل سري

وستتبعهما حين يتقدما

على هذا النحو بقلب الجيش ،

٣٠٠

يقيه من الجانبين جناحان من خيرة فرساننا .

هذا هو ما أوصيكم به ، وليعنا القديس جورج .

ما رأيك يا نورفوك ؟

خطة حكيمة أيها الملك الباسل .

نورفوك :

لقد وجدت هذه على خيمتي هذا الصباح .

(يريه ورقة)

٣٠٥ الملك رتشارد : « أي جوكي نورفوك ، لا تغرق في الأمل

فإن سيدك سيكون ^(١) قد اشتراه رجاله وباعوه ^(٢) »

هذا من عمل العدو .

اذهبوا أيها السادة كل إلى شأنه ،

فلن تخيفنا أضغاث الأحلام .

٣١٠ إن الضمير ليس إلا كلمة يتداولها الجبناء ،

قصد بها أول الأمر أن تخيف الأقوياء ،

فليكن جيشنا القوى ضميرنا ، والسيوف شريعتنا ،

سيروا قدما . وأقدموا شجعاناً على القتال ،

(١) جوكي الاسم الشعبي لجون .

(١) وديكون لرتشارد .

(٢) كناية عن الخيانة .

ونتمنض هذه الحرب الضروس ، إن لم يكن إلى
النعم ، فيداً في يد إلى الجحيم !

(خطبته في جيشه)

ماذا أقول فوق ما قلت ؟

٣١٥

اذكروا أن من ستلقونهم عصابة من الأفاقين ،
والأوغاد والهاربين من وجه العدالة ،
حثة من أهل بريتاني والفلاحين الأذلاء .
لفظهم بلادهم المتخمة

إلى المغامرة اليائسة والهلاك المحقق ،

٣٢٠

رأوكم تنامون في سلام فجلبوا إليكم القلق ،
رأوكم تمتلكون الأرض ، وتنعمون بزوجات جميلات ،
فأرادوا أن يغتصبوا الأولى ، ويدنسوا الأخرى ،
ومنذا الذي يقودهم غير إنسان حقير ،

عاش طويلاً في بريتاني على نفقة أمنا (١) ؟

٣٢٥

إنسان ناعم مخنث لم يشعرق في حياته بأيسر المشقة ،
فلنجد هؤلاء الأفاقين وناق بهم إلى البحر مرة أخرى ،
ولنطرد بالسياط تلك الخرق من الفرنسيين الأدعياء ،

(١) يذهب بعض الشراح أن كلمة « أمنا » في هذا الموضع خطأ صوابه « أخينا » أي

صهر رتشارد دوق برجنديا (Burgundy) الذي أعان ريتشموند في متفاه .

فردهم وراء البحر إلى حيث كانوا ،
ونجلد هؤلاء السائلين الذين أضناهم الجوع
كجردان ذليلة ،

٣٣٠

فستموا حياتهم وكان حريا بهم أن يشنقوا ، من
عوز ، أنفسهم ،
لولا ما يراودهم من أحلام بهذه الغنائم الجزيلة .
إن كان علينا أن نقهر غليقهرنا رجال ،
لا أولاد الزنا هؤلاء من أهل بريتنا ،
أولئك الذين قهرهم أبائنا عن عقرب دارهم وأذاقوهم الأمرين ،
وأورثوهم عارا سجله التاريخ ،
أسيتمتع هؤلاء بخيرات أرضنا ؟ ويضاجعون نساءنا
ويغتصبون بناتنا ؟

٣٣٤

(صوت طبول من بعيد)

أصيحوا ! أنى أسمع طبولهم ،
قاتلوا يا سادة إنجلترة ، قاتلوا أيها الرجال البواسل ،
أطلقوا سهامكم أيها الرماة ، صوبوها إلى الرؤوس !
أهمز واجبادكم الكريمة في عنف وخوضوا في الدماء .
ولترع السماء رماحكم المتكسرة . (يدخل رسول)
ماذا قال اللورد ستانلى ؟ أسيقدم بقواته ؟
: إنه يأبى أن يفعل يا مولاي .

٣٤٠

الرسول

- ٣٤٥ الملك رتشارد : فلتطاح رأس ابنه جورج
 نورفوك : مولاي ، لقد اجتاز العدو المستنقع .
 فلننظر في أمر موته بعد المعركة .
 الملك رتشارد : إن في صدري ألف قلب ضخم ،
 ارفعوا أعلامنا وشدوا على أعدائنا ،
 أي جورج القديس الكريم يا وحى شجاعتنا من قديم
 ٣٥٠ امنحنا بسالة كبسالة تنين هائل ،
 إليهم ! وليقم النصر على خوذاتنا !
 (يهجمون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

مكان آخر من ساحة المعركة

(خبطة وحركة . يدخل نورفوك مرة أخرى وقوات تقتتل - يقترب منه كاتسي)

كاتسي : النجدة يا سيدى نورفوك ، النجدة ! النجدة !
 إن الملك يأتى بعجائب فوق طاقة البشر ،
 ويلقى كل حملة من الأعداء بحملة مثلها ،
 ولكن جواده قتل ، وهو الآن يحارب راجلا ،
 ويبحث فى حومة الموت عن ريتشموند .
 النجدة أيها السيد الكريم ، وإلا خسرنا المعركة .
 (صوت بوق - يدخل الملك رتشارد) .

الملك رتشارد : جواد ! جواد ! مملكتى لقاء جواد !
 كاتسي : تقهقر يا مولاي ، وسأجيئك بجواد .
 الملك رتشارد : أيها العبد ، لقد قامرت بحياتى وسأقبل ما يجيء
 به القدر^(١)

يخيل إلى أن فى ساحة المعركة ستة كريتشموند ،
 فقد قتلت اليوم خمسة بدلا منه .
 جواد ! جواد ! مملكتى لقاء جواد ! (يخرجون)

(١) فى الأصل ما يجيء به « النرد » أى الحظ فى اللعب بالنرد .

الفصل الخامس

المنظر الخامس

مكان آخر من ساحة المعركة

(أبواق - يدخل رتشارد وريتشموند يقتتلان . يقتل رتشارد . تقهقر
وأبواق - يعود رتشموند وستانلى يحمل التاج ونبلاء كثيرون آخرون)

ريتشموند : حمدا لله ولسيوفكم أيها الأصدقاء المظفرون !

لقد كسبنا المعركة ومات الكلب السفاح .

دربي : أى ريتشموند الشجاع لقد حققت أملنا فيك .

انظر ، ها هو ذا التاج الذى طال اغتصابه

انتزعه من جبين ذلك الشقى السفاح ،

ليزين جبينك .

فضعه على مفرقك ، واستمتع به طويلا .

ريتشموند : أجب دعاءه يا رب السموات المجيد .

ولكن قل لى ، ألا يزال جورج ستانلى للصغير

على قيد الحياة ؟

دربي ١٠ : أجل يا مولاي وهو الآن فى مأمن فى مدينة لستر .

ولعلنا الآن نستطيع إذا أذنت أن نسير إلى هناك .

- ريتشموند : من قتل من أعلام الرجال من الفريقين ؟
 دربي : جون دوق نورفوك ، ولتر لورد فيررز^(١) ،
 وسير روبرت براكنبري^(٢) ، وسير وليام براندون^(٣) ،
 ١٥ ريتشموند : فليدفنوا بما يليق بمكانتهم :
 ولتعلنوا العفو عمن يعود
 مستسلما من الجنود الهاربين ،
 وحين نأخذ على أنفسنا العهد
 سنوحد بين الوردة البيضاء^(٤) والوردة الحمراء ،
 فلتبسمي أيتها السماء لتلك الوحدة الجميلة .
 ٢٠ كما طال عبوسك لما كان بين هذين الفريقين
 من شحنةاء .
 ما أظن أن بيننا خائنا لا يؤمن على هذا الدعاء .
 لقد طال بإنجلترا هذا الجنون ، وطالما أثخنت
 نفسها بالجراح
 وطالما أراق الأخ في ضلالتة دماء أخيه

(١) ولتر لورد فيررز Walter Lord Ferrers

(٢) سير روبرت براكنبري . Robert Brakenbury

(٣) سير وليام براندون William Brandon

(٤) شعار البيتين المتحاربين على ملك إنجلترا آل يورك وآل لانكستر .

- ٢٥ وقتل الأب في جهالة ولده ،
 واضطر الولد إلى قتل أبيه .
 كل هذا فرق بين يورك ولانكستر
 فرقة كانت وبالا عليهما .
 والآن فليجمع النسل الحر
 لهذين البيتين الملاكين ريتشموند ولزاث
 شمل يورك ولانكستر المتصدع ،
 وليكتب الله بفضله
 لأولادهما أن يدوم اتحادهما
 ويفيضوا على المستقبل السلام السمع ،
 والرخاء البسام ، والأيام الجميلة السعيدة .
 ٣٥ أى ربى الكريم ، اكسر شوكة الخونة ،
 الذين يتمنون أن يعيدوا تلك الأيام الدامية ،
 ويريقوا دموع إنجلترا في أنهار من الدماء .
 لا تكتب لهم أن يذوقوا رخاء هذه الأرض ،
 فسيطعنون بخيانتهم سلامتها .
 ٤٠ الآن برئت جراحنا وعاد السلام ، مرة أخرى ،
 فلتطل بيننا حياته . آمين .

(يذهبون)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها تنتج عبقرية
مسرحية وعبقرية شعرية معاً، فقد جمع شكسبير بين
حسن درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة الى معرفة
بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من
العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صوراً
فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..
ودار المعارف يسعدها أن تقدم للمقارئ العربي
أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر
والأدب في العالم العربي لتكتمل بذلك روعة
التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.